الفرامديو

"300 مليون عام قبل الميلاد"

رواية

أحمد مصطفى

"رينو"

القاهرة اليوم للنشر والتوزيع

اســـم الكتـــاب : الفلامـــــــــــــــــــديو

تـــــــــــأليف : أحمـــــــــد مصـــــــــطفى

رقـــم الإيـــداع : 2021 / 23247

الترقيم الدولي : 978-977-86016-3-3

الناشـــــــــــر : القاهرة اليوم للنشر والتوزيع

القاهرة اليوم للنشر والتوزيع

002 0 106 410 3613

Cairo2day2021@gmail.com

جمهورية مصر العربية

حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار القاهرة اليوم للنشر والتوزيع

- لا يحق لأي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة

بأي شكل من الأشكال

ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية –

الفرامديو

"300 مليون عام قبل الميلاد"

رواية

أحمد مصطفى

"رينو"

مقدمة

حين كنت في المرحلة الثانوية لم أحب المواد العلمية كثيرا نظرا لولعي بالأدب والفلسفة وعلم النفس، ولكن حين درست مادة علوم البيئة والجيولوجيا أحببتها كثيرا، وتعمقت في البحث عن العصور الجيولوجية دون أن أعلم حينها أنني سأستخدم عصرا منهم وأكتب روايتي الثانية عنه.

لقد رأينا وقرأنا الكثير من الأعمال التي تتحدث عن الانتقال بالزمن، ورغم ذلك فمعظمهم يعود إلى الخلف فيما لا يزيد عن مئة عام. ولكن ماذا لو عدت أكثر من ذلك؟! أكثر من مئات الأعوام بل وأكثر من الآلاف، ماذا لو عدت ثلاثمائة مليون عام إلى الخلف قبل ظهور الديناصورات بملايين السنين؟ كيف كان شكل الأرض؟ ما هي الكائنات التي عاشت وقتها؟ هل كانت الحيوانات مفترسة حينها أم أن الديناصور هو أول كائن مفترس ظهر على الأرض؟ هل يوجد حيوانات عاشت في هذا العصر لم نكتشف حفرياتها بعد؟! هل نستطيع أن نعيش ونتكيف مع هذا العصر بعض الوقت؟

ستعلم كل ذلك مع أبطال الرواية ولا تخف فلن تكون وحيدا لأن الفلامديو سيكون معك. ولكن ما هو؟ هل جيد أم سيء؟ كيف يبدو وماذا يستطيع أن يفعل؟ سوف تعلم كل شيء في وقته.

أتمنى لك رحلة شيقة في العصر الكربوني.

المؤلف

إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى كل قارئ ما زال يقرأ، ولم تبعده مواقع التواصل الاجتماعي عن ذلك.
أهدي الكتاب إلى كل مثقف يرفض أن يسقط في بئر الجهل الذي يجذب الكثير، وكل شخص غير قادر على مواجهة واقعه، ويجد في الكتب قوة ليفعل ذلك.

أهدي الكتاب إلى كل من يقرؤون، الذين آمنوا بكتاباتي وشجعوني، والذين لم يؤمنوا بي أبدا فقراءتهم لهذا الكتاب دليل على أنهم يمنحونني فرصة أتمنى الفوز بها، أو آمنوا بي بعد قراءة روايتي الأولى، شكرا لكم وأتمنى لكم قراءة ممتعة.

أحمد مصطفى

"اينو"

الفصل الأول: الاستعداد

تحطمت خلايا عقلي للمرة الثالثة عشر التي صرخ فيها المنبه مرسلا إشارات تحذيرية إلى جسدي كي يستجيب، وبذلك تم إنقاذي من كابوس يراودني وإقحامي في كابوس أعظم بأسا؛ وهو حقيقة وجودي في هذا العالم، لعنت المنبه لإزعاجي من نوم استمر أربع عشرة ساعة ثم نظرت لأصابعي مسرعا للتأكد من أنهم لم يصبحوا وليمة لفأر ما أو أي حيوان يسكن معي في هذه الغرفة.

الانتماء إلى هذا المكان بذرة من الوهم ووجودي به ما هو إلا استحواذ جسدي مرئي للجميع دون أي شعور مني بذلك؛ فمجموعة من الجلد فوق بعض العظام لا يعكسوا معنى الوجود، وابتسامة مع بعض الأصدقاء لا ينفون كوني وحيدا في أعماقي، حتى العشق الذي أبحث عنه غير موجود، والوحيدة التي أريد أن أفصح لها عن مشاعري لا أحبها أو أريدها، ولذلك أرغب في الزوال رغم عشقي للخلود؛ فربما هناك عالم آخر ينتظرني يمتلئ بالعشق الصافي الذي يزرع بذور الأمان بداخلي.

نحن ننتمي حين نخاف، ونخاف حين ننتمي، وحين نحب لا ننتمي في البداية؛ بينما نخاف من الفقدان أو من وحدانية المشاعر، وهذا الخوف يتوغل إلى أعماقنا الدفينة المنهزمة، ويدفعنا إلى الانتماء لمحبوبنا أكثر هربا من التفكير الذي ينهشنا ويشعل ما بداخلنا، حتى إذا لم نفكر فيه وأنا أفكر فيه بكل أساريري التي تظهر على وجهي، وارتجافة يدي مع ابتسامة حزينة وضحكة غير صادقة تراودني كل بضع دقائق يصدرها فمي المتمرد دون انتظار أي إشارة من عقلي، الذي أعلن وفاته منذ عقود، ولكني أعشق الطيف الذي لا وجود لصاحبه في أرض الواقع حتى الآن.

أجلس في غرفة هشة تشبه علبة كبريت، يزاحمني بداخلها أعواد ثقاب تهددني بالاشتعال في أي وقت، وينتظرني حيوان يلتصق على الجدران بالخارج، حيوان من شعبة الحبليات، طائفة الزواحف، رتبة الحرشفيات يريد تسميمي وقتلي دون أن أفعل له شيئا، ولا أعلم لماذا يكرهني إلى هذا الحد؟ أم أن الحقيقة أنا الذي أكرهه، لا يهم ففي جميع الأحوال هو حيوان سيء ولذلك أكرهه أو يكرهني.

قفزت ملابسي على جسدي دون جهد، فتحت باب غرفتي بيد منتفضة كما لو أن أحدهم بالصالة يصوب مسدسه نحوي، أمسكت حذائي وحملتني أصابع قدمي إلى الباب حتى نجحت في الخروج كذبابة تفادت مبيد حشري واستطعت الهروب من الوزغ كما يهرب سعيد اللص من مطارديه دائما.

- ازيك يا سعيد.
- أنت هتصاحبني يالا.

إذا لم تستطع أن تطعم حيوان مفترس لا تستفزه أو تعادِه، لم تكن هذه القاعدة مصدر فخر لجيناتي المتعجرفة في منهجي الفكري ولكنها عقلانية أكثر بالنسبة لي، ولذلك قدمت أعصاب وجهي ابتسامة غير مكتملة وأنا أرتدي حذائي الوفي، الذي يرافقني منذ أن أصبحت قدمي بهذا الحجم ثم أمضيت في طريقي تتظاهر أذني بالصمام.

أنهيت الحارة التي أسكن بها ولا تسكنني منغمسا في شارع، لا تستطيع السيارات الدخول فيه رغم اتساعه، لإنه يحمل نصف سكان المدينة وربع الباعة المتجولين بكوكب الأرض، اندمجت في طريقي حتى تفاجئت بعصا بائع مثلجات ترتطم بأذني وهو يطرق بها على الطبلة:

- هما بيحوشوا ولا إيه؟ نايمين ولا مفلسين؟ خش على المانجا.

انسحق الزمن في بئر أعصابي البصرية وانعدمت الرؤية للحظات طويلة مملة، استفقت منها ممسكا بالعربة التي يسير بها البائع ونظرة حادة من عينيه:

- سيب العربية!
- إيه؟
- إيه إيه أنت اتطرشت، امشي من هنا يالا.

ترنحت في الطريق متمايلا يمينا ويسارا، يأخذني المسار إلي حيث لا أريد، ولكني تحديت كل ضغوط الزحام ورائحة القمامة المعتادة فوصلت أخيرا إلى منزل أحد الأصدقاء القدامى.

- كل ده؟!
- فيه حد في الحمام؟
- أنا لوحدي في الشقة.

رويت مسام وجهي بالماء ثم عدت إليه.

- مالك، ماسك ودانك ليه، حد فقعك قفا؟
- هو القفا بيتضرب على الودان؟!
- نيهاها.

ضحك تيتو باستهجاء الحروف كعادته التي تشعرني أنه يضحك مجبرا.

- عملت إيه في الأغنية؟
- طب اهدى عليا أنت جاي سخن كده ليه؟!

انتقمت الأغنية التي ظلت أسبوع معه لنفسها، وأحرقته بنظرات الغضب التي قامت بها عيني، لماذا تصارعني كل الأشياء؟ لماذا قاس هكذا أيها العالم؟ حتى الأشياء البسيطة لا تتم كما ينبغي.

- معاك اللحن والكلمات إيه مشكلتك؟ إيه المعجزة اللي أنت محتاجها علشان تغنيها؟!
- يا عم معلش دربني على الكوبليه التاني تاني.

قلبي جذب يدي إليه ومالت رأسي قليلا حتى كدت أن أسقط، فالأغنية تم إرسالها إليه عدة مرات بصوتي أمس.

- مالك! أنت اتشليت ولا ايه؟

رفضت أذني سماعه، ورفض عقلي الاقتناع بأنني مضطر أن ألجأ إليه متسائلا: ماذا كان سيحدث إذا كنت أمتلك صوتا جيدا؟

" أسير في الشارع ببدلة يعادل ثمنها أضعاف ثمن البيت الذي أسكنه حاليا، ترتفع قيمتي في نظري من نظرات الجميع التي تترفعني عن العالم سائرا بين الحشود، ممسكا بجيتاري ويداعب صوتي آذانهم، تفرش الورود طريقي ويلحن صراخ الجماهير كلمات الأغاني التي أقوم بتأليفها يوميا، حتى أخلع نظارتي الشمسية التي أرتديها ليلا وألقيها خلفي فتمسك بها إحدى الشقراوات وتغمز لي فأنسحب إلى ابتسامتها البريئة، حتى أصطدم بعيون سارة وأجدها تتسلح بكل أنواع الانتقام والغيرة، تعاود عيني النظر إلى الشقراء نظرة تمتلئ بالحب، تقاطعها سارة وتسحبني من يدي أمامها، ترغمني بالسير معها رغم نظري إلى الخلف ومحاولة جذب عيون الشقراء مرة أخرى، بلا مقاومة أسير مربوطا بأصابع سارة التي تسحبني خلفها أثناء غنائي حتى تختفي الأولى وسط الجماهير، فأنظر إلى سارة أجدها الشقراء"

- كيمو أنت نمت؟!

أطلق تيتو سهما اخترق أفكاري وأعادني إلى الواقع الممتلئ بالحشرات والقمامة:

- هتدربني على المقطع؟
- بعتهولك على النت اسمعه كذا مرة والأغنية تجيلي النهاردة.
- طب رايح فين؟
- سلام.

- استنى يا فنان عايزك.

ابتعد عني البيت وأغمضت عيني سارحا، فتخيلت بعض بقايا الكلمات المتطايرة التي سأسطر بها نهاية روايتي، أخرجت هاتفي لأكتبها أثناء سيري فقاطعني اتصال من ماندو:

ألو..

- فينك يا صاحبي؟
- عايز إيه؟

ضحك ماندو:

- عدي عليا ضروري عايزك في موضوع مهم.
- مش فاضي، بكتب في الرواية الجديدة.
- يا عم رواية إيه وهبل إيه بس، عدي عليا عشر دقائق وامشي، الموضوع ضروري، مستنيك.
- معيش فلوس.

ضحك ماندو مرة أخرى:

- يا عم مش عايز منك حاجة ماتقلقش، تعالى اخلص واتصل بالعيال هاتهم علشان معيش رصيد.
- هخلص آخر فقرة في الرواية طيب ونتقابل على القهوة.

ذهب حوار ماندو إلى حتفه بعدما طرده عقلي غاضبا واستعاد وعيه لينهي الفقرة الأخيرة بالرواية متسائلا: هل ستحقق النجاح المطلوب أم لا؟ القرار للجمهور الآن.

تحركت مستخدما عيون إضافية في مؤخرة رأسي حتى أتفادى حفل السيارات الصاخب وصراعهم الأزلي، وبعدما اخترقت كل الطرق

وضوضاء الواقع الأليم وصلت أخيرا إلى المقهى الغريب ذي الاسم الرائع (زعبولة)، يا لها من مهزلة

مضى الوقت ومات دون أن يأتي ماندو أو يسألني العجوز الغاضب عن شيء أشربه، وعندما أوشكت على الرحيل وجدت ماندو يرفع حاجبه الأيسر:

- رايح فين يا جدع؟
- لسه فاكر؟!
- مأنت اللي غلطان إيه اللي جابك بدري؟ أنا قائل لك على ميعاد المفروض تيجي بعده بساعة معروفة.
- طب خش في الموضوع.
- هتعزمني على إيه النهاردة علشان ماجبتش فلوس معايا؟
- مفيش الكلام ده.
- بقولك مفيش غير خمسين قرش في جيبي.

نادى ماندو على صاحب المقهى بحماس وكأنه هو من سيدفع:

- يا عم على.

جاء صاحب المقهى بوجهه العابس المعتاد ونظر إليَّ:

- هتشرب إيه؟
- قهوة مظبوطة.

أدار وجهه الى ماندو:

- أجيبلك المشروب الرسمي بتاعك؟
- لا مانجا، أنا عايز عصير مانجا.
- طالما مانجا يبقى هو اللي هيحاسب.

قائمة مشروبات ماندو لا يوجد فيها غير الشاي في المرات القليلة التي يدفع فيها.

- عايزني في إيه بقى؟

ضحك ماندو حينما أيقن أنني لا أرغب في الجلوس معه:

- اسمع يا سيدي وحاول تصدقني، من حوالي ٥ سنين لما كنت شغال في ال...

قاطعته فجأة قبل اندماجه:

- ٥ سنين؟! يعني أنت هتحكيلي حاجة بقالها ٥ سنين؟
- يا عم هو أنا لسه قولت حاجة؟ أنت من أولها مش مصدقني؟ امال لما تسمع هتعمل ايه؟!
- طب ارغي.
- لما كنت شغال في المساحة من خمس سنين، بعد ما خلصنا أول يوم شغل، في مكان جديد قلت أستكشفه كالعادة، المهم إني مشيت كتير لغاية ما لقيت مقبرة مقفولة بباب حديد بس من غير قفل ولا حاجة، كنت خايف بصراحة، أنا قلت ياما هلاقي آثار، ياما هلاقي وكر لحاجة غير مشروعة وعصابة تقتلني جوه. أرجع؟! لا طبعا، فتحت الباب، نورت كشاف الموبايل، ونزلت سلم كبير لغاية ما لقيت حاجة عمرك ما هتتوقعها.

خطفني التركيز إلى قصته عمدا ودون أن أشعر وجدتني منتبها للغاية لما يقول:

- لقيت إيه؟
- آلة زمن.

سلبتني إجابته كل تركيزي وشعرت أنني كنت ساذجا حين قررت أن أنتبه لأي شيء يقوله ماندو:

- ألف مبروك.

تحول وجهه إلى الأحمر، أشعل سيجارته، نظر إليَّ بضيق عندما شعر باستهزائي:

- شكلك مش مصدق، أنا عمري كدبت عليك في حاجة؟
- إيه؟!

عادت ابتسامته لا إراديا وتحدث باندفاع:

- صدقني المرة دي بجد، بس أنا عاذرك لإن لو أنت اللي قولتلي كده مش هصدقك، وأي حد كان هيقولي مكنتش هصدقه وهقول عليه مجنون كمان.
- طب كمل يا مجنون.

تتوالى الأكاذيب على لسان ماندو أحيانا لكي يتحاشى مشكلة ما أو يحصل على شيء، ولكنه لا يغضب حين أكتشف كذبته التي دائماً أكتشفها وذلك ما جعلني متعجبا وأحاول تصديقه:

- لقيت آلة كبيرة معقدة فيه قدامها صندوق كبير مكتوب عليه ٣٠٠ مليون عام قبل الميلاد، ومفاتيح محطوطة في الآلة.

ما زالت أذني تشيد أسوارا أمام كلامه، ولكنني قررت أن أهدم هذه الأسوار ظاهريا وأتابعه حتى ينهي كلامه:

- كام؟!
- ٣٠٠ مليووووون سنة.
- بومباستك خالص ولقيت مفاتيح جنبها صح؟!
- أيوة دي اللي بتشغلها.

- عاش أوي. يعني الآلة دي بترجعك ٣٠٠ مليون سنة؟ زي الفل! كمل طيب.

شعر ماندو باستهزائي مرة أخرى فأمسك بكوب العصير، وتخلص منه في مرة واحدة ثم أصدر صوتا من حلقه:

- جتك القرف!
- أول ما نزلت كان فيه ريحة وحشة جدا جوة، أنا قلت طبيعي، يعني مأنا في مقبرة وأكيد ريحة المقابر كده. بس ببص جنب الآلة لقيت راجل عجوز ميت مرمي على الأرض ولسه ماتعفنش.
- أوب!
- تقريبا هو ده اللي اخترع الآلة، المهم شغلتها بالمفتاح وحطيت العجوز في الصندوق اللي قدامها، الصندوق اتهز شوية وبعدها سكت، فتحته مالقتش الراجل جوه.
- نعم؟!
- انتقل بالزمن فعلا يا كيمو مالك؟ صدقني ده اللي حصل، خدت كتاب كان هناك وفهمت كل حاجة، فقررت أدخل الصندوق بس قلت أخليها لتاني يوم أكون جاهز.
- أنت بتقول إيه أنت؟

سحبتني القهوة وبدأت في احتسائها، وأنا أتمنى أن ينتهي هذا الحديث الساذج وأعود إلى جحري.

- خدت قفل ومفتاح كان الراجل سايبهم جوه، قفلت المقبرة بيهم ورجعت الموقع تاني فبلغوني إن مهندسين المساحة رفضوا الموقع ودي جاتلي مصلحة، ليه بقى؟ علشان محدش يكتشف المكان ده غيري بس عارف المشكلة كانت في إيه؟

ما زلت أستمع ولكنه توقف ونظر لي دون أن أجد سببا لذلك:

- مقولتليش إيه؟
- مش لازم أقول اخلص.
- المشكلة إنهم رجعوني معاهم القاهرة ولما حبيت أروح المكان ده لوحدي بعدها معرفتش أوصل.
- معرفتش توصل؟!
- أنت عارف يعني إيه صحراء، التراب غطى الباب الحديد ومبقاش باين أي معالم، بس هو أنا هسيبها كده يعني، مابقاش ماندو حتي لو عملت كده، طول الخمس سنين اللي فاتوا بدور عليها كل أسبوع في إجازتي وعلشان كده مكنتش بتلاقيني فاضي.
- ٥ سنين كل أسبوع؟!
- أنت عارف يعني كام مرة؟
- ٣٦٥÷٧×٥ يعني حوالي ٢٦٠ مرة وأكتر شويه كمان باعتبار إن السنة مش دايما ٣٦٥ يوم.
- عملتها ازاي دي! الله ينور، أهه المرة ال٢٦٠ دي كانت امبارح علشان كده بقولك دلوقتي.
- طب باعتبار إن الكلام صح، أنت ازاي ماقولتليش طول الفترة دي؟!
- ماكنتش عايز حد يعرف غير لما ألاقيها، أنت عارف لو حاجة زي دي حد عرفها غيرنا يبقى كل حاجة راحت، حضر نفسك هتيجي معايا بكرة نتأكد إن احنا سافرنا ونرجع على طول أنا معايا زرار الرجوع.
- معلش يا حبيبي، أنا مش هجازف وأدخل جهاز معرفش هيعمل فيا إيه ولا أنت كمان هتعمل كده.

سحقت أعين ماندو عيني التي توارت خجلا خلف كوب القهوة الذي أحتسيه:

- أنت عبيط يا ابني، أنت الحاجات الهبلة اللي بتكتبها أثرت على دماغك، يعني أنا هروح المشوار ده وأدور في صحراء ٢٦٠ مرة علشان في الآخر تقول لي ماتروحش فأقول لك ماشي مثلا، أنت عارف الآلة دي لو اتباعت تجيب كام؟
- يعني هو أنت لازم تنتقل بالزمن علشان تبيعها، طب ما تبيعها من دلوقتي وخلاص.
- محدش هيصدقك يا حبيبي، لازم يبقى فيه إثبات علشان الناس تبصلك.
- شوف وليد أو تيتو، أنا بره الحوار ده.
- كلنا هنروح.

بجانب رائحة البيرة التي تبدو كرائحة ملابس تم غسلها ووضعها فوق بعضها داخل شنطة بلاستيكية دون أن تجف، فالشاب السكير بالمحل المجاور يرتدي نفس هذه الملابس منذ أن كان طفلا حتى أصبحت قصيرة للغاية وبالية، وجهه يتسخ كقماشة بمحل شحوم سيارات، ورائحته أكثر اشمئزازا من الملابس التي يرتديها، كان ينصت إلينا كما لو أن ماندو يسرد حكايات للأطفال ثم تحدث إليه بنبرة صوت غريبة:

- أنا عاجي معاك.
- هتعمل ايه؟!
- عاجي معاك الرحلة.

ماندو ما زال تحت تأثير صدمة قطار TGV له وأنا أضحك، كما لو أنني في عرض مسرحي كوميدي أو أشاهد فيلم الناظر صلاح الدين.

- أهه ياعم فاكرك رايح دريم بارك، خده معاك.

- أيوه، هو شكله طيب وعيوافق.
- عيوافق أه.

يبدو أن حرف الهاء اختفى من قاموس هذا السكير، وقام عقله بتعويضه تلقائيا بحرف العين.

- وطي صوتك يا عم.
- بقول لك عنتقل معاك بالزمن ماليش دعوي.
- حاضر حاضر في العيد هنروح.
- والله عفضحك، يا ناس...

مستوى صوت السكير ارتفع وبدأ البعض بالالتفات إلينا:

- يا عم هأخدك هأخدك.
- عروح معاك البيت وأسافر معاك بكرة بالزمن.

رغب فمي بإصدار الضحكات ومنعه عقلي حرصا على شعور ماندو أولا، واحتراما لبؤسي الذي لم أرد إهانته بالضحك ثانيا.

- تروح معايا فين مفيش الكلام ده.
- يا ناس...

طار كأس المانجو الفارغ من يد ماندو، واصطدم بالأرض مفتتا.

- هو علشان مش أنت اللي هتدفع يعني.
- يلا يا عم نمشي من هنا.
- أنا عجيبلك الشرطة وأقول لهم إنك عتسافر بآلة الزمن.

ذهبت أوراقي وعملاتي الفضية الأخيرة إلى صاحب المقهى، وبعد خطوات توقفنا أمام كشك سجائر وأخرج ماندو أموالا من جيبه كل ورقة فيهم لا تقل عن ٢٠٠ج واشترى علبة كليوباترا:

- يعني مش هتيجي معايا يا صاحبي؟!
- خد بتاع البيرة.

لم أحترم مشاعر حزني وأثارت ضحكاتي غضب ماندو فاستكملت كلامي:

- خد حسن هو اللي عارف كل حاجة عن العصور الجيولوجية.
- حسن كده كده جاي أنا عايزك أنت.

لم يكن الوقت يداهمني، ولكن انتعشت مشاعري حين وصلنا أمام منزل ماندو، فهذا يعني أنني سأعود إلى جحري وأتخلص من كل هذا الصخب الذي زرعه في عقلي. وقبل تركه سمعنا حروف غريبة، ونظرنا إلى الخلف فوجدنا السكير قد قطع شوطا من الصمت سائرا خلفنا:

- لو مطلعتش معاك دلوقتي عفضحك وأقول إنك عتسافر بآلة الزمن.

ذهبت وتركتهم دون أن أصدق ماندو أو أكذبه، ربما يؤمن بالوهم أو يتعايش مع حلم راوده، ربما هناك آلة ولكنها لا تفعل شيئًا، طردت كل العبث من رأسي واتجهت نحو قبري، مارا بعذابي الدفين وواقعي المشئوم، ناظرا إلى نفسي بوجه مهزوم: هذا الذي أنتم منه تسخرون؟!

اللعنة على سعيد، لماذا لا أقتلك وأنتهي من هذا الضغط؟ أمسكت هاتفي وأرسلت إلى تيتو:

" فين يا ابني الأغنية؟؟؟؟؟؟؟؟؟!!!!!!!"

فأرسل لي:

" بتدرب على المقطع الثاني وهبعتهالك يا فنان"

لماذا تتلاحم كل الأشياء البسيطة والمعقدة ضدي؟ لماذا سوف أحيا إذا لن أحقق ما أرغب به؟ لماذا نخاف من المستقبل رغم أنه من صنعنا؟ اللعنة على رأسي وعلى هذا الاتصال المزعج من وليد:

- صحيت من التربة امتى؟
- لقيت ٤٠ مكالمة من ماندو بتصل بيه مش بيرد.
- تلاقي الواد السكران فضحه.
- واد إيه؟ يبدو أن هناك أشياء جديدة، هل ترغب في أن تطلعني عما حدث ولماذا يريد محادثتي؟!
- لا فكك من الجو ده علشان مش طالباك دلوقتي، اتكلم عدل.
- وهل تظن أنك على حق ومن واجبي أن أحرص على تنفيذ أرائك.
- ماندو لقى آلة زمن.
- نعم؟!
- أيوة اتعدل كده.
- آلة زمن لورا ولا لقدام؟!

من الغريب أنه لم يكذب الأمر وسأل عن المعلومات مباشرةً:

- ٣٠٠ مليون عام قبل الميلاد.
- العصر الكربوني؟!
- يابني هو أنت مش مستغرب الكلام ليه؟ هو أنا بقولك ماندو اشترى موبايل جديد؟! ده أنا بقولك لقى آلة زمن، مالك؟
- بعد نظرية الكم ومعرفتنا بالثقب الأسود كنت أعلم أن أحدهم سوف يكتشف سرعة أسرع من سرعة الضوء، ولذلك أعتقد أن وجود آلة زمن شيء محتمل وغير مفاجئ إطلاقا.

- بقولك ايه سلام.

تلقت عيني سبابا مريرا من قدمي؛ لأنها لم تقم بتحذيرها من وجود شظايا زجاج تزين الطريق وتطليه باللون الأحمر عند مرور كل قدم، وأثناء توجعي وجدت سعيد يتسكع أمام المنزل مع أصدقائه:

- حاسب الحفرة.

نظرت للأسفل بعدم تركيز وأبعدت قدمي المتألمة لا إراديا، فسقطت على الأرض وسط قهقهات سعيد وأصدقائه، فصعدت إلى المنزل كاظما غيظي بعد أن كدت أنفجر، فتحت الباب ببطء شديد كأنني أنتظر قنبلة خلفه ستنفجر بوجهي ثم دخلت غرفتي وأغلقتها خلفي، بعدها تلقيت رسالة صوتية من تيتو بها الأغنية، فاستعدت أذني لسماعها ونالت ما تستحق، لقد كانت الأغنية أفضل مما توقعت فاتصلت به:

- إيه عجبتك؟
- مش زي ما متوقع يعني بس ماشي.
- طب أبعت غيرها؟!
- لا هرفع دي وخلاص.
- يبقى عجبتك يا فنان، هنغذو العالم يا حبي.
- الأغنية اللي فاتت جابت ٧٠ مشاهدة على اليوتيوب، اتشهرنا.
- ياراجل؟!
- أيوة عدينا.
- طيب ياريت دي بقى تجيب ١٠٠ مشاهدة ولا حاجة، علشان تعبنا مايروحش على الفاضي.
- أه ده يبقى بومباستك خالص.

- نيهاهاها، الشهرة في الطالع بوم تخ، بقولك إيه ماندو على الويت هشوفه عايز إيه وابقى أكلمك.

أنبتت الأغنية بداخلي بعضا من الأمل الزائف الدفين عندما قمت بصنع فيديو بسيط لها مع ترجمة احترافية للغة الإنجليزية والفرنسية ثم قمت بتحميله على اليوتيوب، أتمنى أن يزداد عدد المشاهدين هذه المرة.

مر القليل من الوقت وتلقيت اتصالا من سارة:

- Hello hun

أعتقد أن سارة حذفت كلمة (ألو) من قواميسها واستبدلتها بهذه الجملة:

- ازيك يا سارة؟
- إيه الأغنية التحفة دي، أنا قشعرت خالص.
- مبسوط إنها عجبتك.
- صاحبك صوته واو أوي بجد.
- طب بالنسبة للكلمات معجبتكيش؟!
- أنا رايحة بكرة الأوبرا هلعب مزيكا هناك مع الشلة تعالى مع يور جيتار وهات صاحبك يغني.
- ابتديت رواية جديدة مش فاضي، باي دلوقتي.

لقد جف حبري وتلاشت أفكاري مع عوادم السيارات وصوت الشارع الصاخب، وأعتقد أن سارة تفهم ذلك جيدا؛ لأنها تمتلك موهبة الرؤية خلف الجدران؛ فورقتي ليست بيضاء في يدها، وانفعالاتي الغير متوقعة هي حقيقة علمية واضحة بالنسبة لها، وبالطبع هي تعلم بغضبي وتضحك كثيرا على ذلك.

عقلي يأكله الصدأ بسبب ما أفعله به، أغضبه بأشياء تافهة، وأهلكه بعدم استخدامه حين أقضي يومي أتأمل موقع التواصل الاجتماعي كما أفعل الآن، أفكار ضائعة، كلمات تستحق أن تكتب وكتب تستحق أن تقرأ، تفاعل حقيقي في الحياة، لقد اعتزلت كل ما قد يجعل حياتي أفضل وانجذبت إلى كل ما هو سام، ونهاية الرواية التي كتبتها اليوم نهاية دخيلة كانت برأسي منذ شهور.

ثلاث عشرة مكالمة فائتة: وليد، وحسن، وماندو، وتيتو، لن أجيب مهما حاولوا لأنهم بالطبع يريدون أن أذهب معهم هذه الرحلة غير الموجودة، اللعنة عليهم ساذجين!

رسالة صوتية من وليد:

- هتفضل ماتردش كده كتير، إحنا جاينلك.

أصدر عقلي إشارته السريعة إلى ملامح وجهي لونت عيني بالاحمرار، وجعلتني أستطيع أن أهدم بناء كامل بيدي:

- أنا بنام مش هفتح لحد.

- ماندو بيقولك هيكسر الباب.

تمنيت كثيرا أن أتخلص من كل أصدقائي لما يسببوه من فوضى عارمة في حياتي، وأظن أن هذه اللحظة اقتربت كثيرا. ثقب أذني صوت صفير الباب ثم سمعت حسن ينادي:

- افتح يا كيمو عيب كده.

لقد أكرمني حسن بضيافته كثيرا دون أي رغبة مني، وبذلك أصبحت مجبرا على فتح الباب، بعدما صدمت رأسي ركام الحائط الملطخ بشحوم لا أعلم مصدرها، ثم فتحت الباب ودخل وليد:

- كل هذا الوقت لتستجيب، عليك اللعنة!

قبل أن أقوم بالسباب دخل حسن:

- مشش تقدير يعني.

لقد كرهت حسن بسبب تعثره على بعض الحروف أحيانا،

ضاقت ملامحي وتناثرت بقاياها على وجهه حتى دخل تيتو:

- كده يا كيمو ده احنا لسه عاملين عظمة مع بعض.
- أه وجابت ١٥ مشاهدة.

دخل ماندو ومعه السكير فانفجرت غاضبا:

- أوب، إيه يا عم ده؟! أنت جايبهولي معاك.
- هو الواي فاي عندك كام؟
- يا عم أنت بتهزر، إيه ده؟!

صدمني السكير بلسانه الغريب:

- مأنا عروح معاكم.
- قصدك معاهم هتروح معاهم مش معانا.

تدخل ماندو:

- ليه بس كده يا صاحبي؟! ده احنا جينالك كلنا علشان نطلع سوا الصبح من عندك.
- عارف المشمش؟!

أخرج السكير زجاجة بيرة من حقيبته وفتحها:

- إيه يا عم ده؟!

تحدث حسن:

- هات شويه لب يا ماندو طالما مشش عايز يعملنا حاجة نشربها.
- مالك يا حسن؟ أنت سخن يا حبيبي؟

سادت فوضى عارمة عندما ألقى ماندو اللب على أقدام الجميع، وبما أنني لست جالسا حاول أن يعطيني البعض:

- علشان تعرف إنك واخد فكرة غلط عني، بوزع لب اهه عازمكم عليه.

لا أطيق بذل مجهود عظيم من أجل الحصول على شيء ضئيل، ولذلك رفضت طلب ماندو، وأسعده هذا الفعل ثم اتجهت إلى المطبخ لأعد لهم مشروب ماندو الشعبي، ودخل تيتو خلفي:

- مش عايز تفتحلنا يا فنان؟!
- ماتقولش كده يا بامبينو، أنا بس مش عايز أتكلم في الحوار اللي هتكلموني فيه، سكرك كام؟
- بص أنا مش عايز أروح معاهم بكرة بس أنت لازم تروح.
- اشمعنا أنا يعني؟
- بقالك قد إيه بتحاول تتشهر ومش عارف؟

زأرت عيني وجه تيتو مصدومة؛ لأنها لم تتوقع أن تراه يلقي لوما على مسمعي يوما فاستكمل كلامه:

- لو الموضوع طلع حقيقي، وده صعب عارف، متخيل هيحصل إيه؟! تخيل كده لو صورت فيديو هناك بموبايلك ورفعته على اليوتيوب هيجيب كام مشاهدة؟! عارف هتحط كام صفر جنب ال١٥ مشاهدة اللي جبناهم؟! أنت متخيل ممكن بعد كده حاجاتك تتشهر ازاي؟!
- طب ما تقول لنفسك يا تيتو.
- أنا مش فنان زيك، أنا مؤدي ومش في دماغي أوصل لحاجة، أنا عايزك أنت توصل لأن ده مكانك، ومينفعش تبقى في حتة تانية.

- ده مش حقيقي يا بني أصلا، ولو حقيقي نفترض مت في الجهاز ده.
- مش هتموت يا كيمو، ولو مش هتغامر علشان توصل يبقى ماتستاهلش توصل يا فنان، ماتعملش حسابي في الشاي.

أنبت تيتو فكرة في عقلي، وجعلها تتوغل بداخله، وتنبت ملايين الأفكار الأخرى، ثم تركني غارقا في أفكاري وغادر المطبخ؛ فسافر خيالي بي لأرى ماذا سيحدث إذا أصبحت مشهوراً؟

أتخيل نفسي أخرج من بيتي لأصطدم بزحام رهيب أكثر من الزحام الموجود بشارعنا، ولكن كلهم إعلاميين من قنوات عالمية يريدون اقتحام حياتي وإجراء حوارا معي غصبا:

- ممكن نؤجل اللقاءات دلوقتي لغاية ما أخلص الشغل اللي معايا؟ الجمهور له عليا حق برضه.

الفتاة الشقراء تقف على الجانب الآخر وتنظر إلي، ابتسمت لها واتجهت نحو سيارتي فسمعت صوتها:

- حياتنا هي اللحظات الحلوة اللي بنعيشها، ولو اللحظات الحلوة كانت كدب يبقى عمرنا ضاع على الفاضي.

نظرت خلفي إليها:

- بتكلميني؟!

نظرت سارة إلي من سيارتي التي تجلس بداخلها:

- Where are you Hun؟

ضوضاء فاقت ضوضاء الإعلاميين، وصوت حسن يأتي من الصالة، فيعيدني إلى المطبخ الممتلئ بخيوط العناكب:

- أنت بتطبخ ولا بتعمل شاي؟

نظرت إلى الماء فوجدته يتبخر، فصنعت لكل شخص نصف كوب بالماء المتبقي واعترض حسن كالعادة:

- إيه يا عم ده، هي الحالة كححط للدرجة دي؟

نظرت إلى السكير:

- بقولك إيه، عايز شاي مع البيرة؟

- عات.

سقطت عيني عمدا إلى الأرض بعدما رأت قشر اللب والسوداني الذي اختفى تحته السجاد، وأثناء ذلك لمحت الوزغ يسير بين الكراسي، فسقط الكوب من يدي وصعدت فوق أحد الكراسي:

- البرص اهه.

ضحك حسن، رفع وليد قدمه عن الأرض، أبعد تيتو وجهه عنه وتدخل ماندو:

- مالك يا عم، أنا لسه سايب تلاتة في البيت عندي.

نظر ماندو إلى شفاط وأصدر الأوامر.

- شفاط، أمسك البرص ده وارميه بره.

حاول شفاط أن يمسكه، ولكنه سقط على الأرض من تأثير الكحول، وبرغم أن حسن ضعيف النظر للغاية إلا أنه نجح في دهسه، وبما أن هذا المشهد لا تستصيغه عيني، أبعدتها عن المكان وهام ماندو بالتصفيق:

- عاش يا حسن، صفقة لحسن هنا يا جماعة.

فوضى عارمة تحتل نفسي تجعلني أرغب في حمل سلاح وقتل الجميع، ولكنى لا أمتلك هذا القلب القاسي، ولذلك من الأفضل أن أقتل نفسي، وهربا من هذا الشعور نفيت نفسي إلى الشرفة. فوجدت شفاط يحمل الوزغ ويلقيه بالشارع فسقط على رأس سعيد:

- إيه ده؟! إيه القرف ده! لو راجل افتح الباب.

أخبرتهم بما حدث وكان قرارهم أن أختفي عن الأنظار حتى لا تتفاقم المشكلة وتصدر وليد الموقف:

- سيبوهولي أنا، أنا القائد.

قضى وليد تجنيده بالجيش منذ فترة طويلة، وتم حبسه كثيرا بسبب إخفاقه بالتمارين، وبعدها قضى خدمته في المطار لا يفعل شيئا، وبرغم ذلك يتخيل نفسه بأنه أحد الأبطال الشجعان، الذين ضحوا من أجل البلد ويفخر بذلك دائما، ويعتقد بأنه هو الشخص الفدائي بيننا الذي لن يقبل بأي سوء لأي شخص. اقترب سعيد من الباب، وجده مفتوح فاستغرب ونظر بالداخل:

- فين كيمو ومين اللي رمى عليا البرص؟

وقف وليد واقترب من سعيد:

- عايز تعرف مين اللي رمى عليك البرص؟
- مين؟
- أنا ها هتعمل ايه؟

ضرب سعيد لكمة في وجه وليد فأسقطه على الأرض:

- عرفت هعمل إيه يا روح أمك، نتن وبجح كمان.

لم يتحرك ماندو من مكانه، ولكن حسن صفع سعيد على وجهه، ردها الأخير في وقتها عدة صفعات، فتهجم عليه حسن مرة أخرى:

- تعالى تاني، هديك كشاف أعميك.
- قابل قنابل في وشك ياض.

تدخل تيتو محاولا إبعادهم عن بعضهم لكي ينهي الحوار:

- سيبه يا حسن علشان نظارتك، مش معنى أنه زبالة تضربه ده مهما كان في بيتنا.

وقف وليد وجلس على الكرسي ممسكاً بوجهه. تحرك ماندو أخيرا ناحية سعيد عندما وجده يضرب حسن:

- بصفتك ابن بلد وصايع، ينفع حد يضرب حد وسط أصحابه، حاجة مشرفة ليك كده؟
- أه مشرفة.
- اقعد كده نشرب شاي ونتكلم، شفاط ادخل اعمل شاي.
- هما عيجوا معانا بآلة الزمن مشلفطين كده؟

صدمت رأسي بالحائط مرة أخرى لعلها تكون الأخيرة وأنهي هذه المأساة. نظر سعيد لشفاط باستغراب:

- آلة زمن ايه؟

تحدث ماندو مسرعا:

- لا مفيش ده بيخرف، قولتلك قوم اعمل شاي.
- آلة زمن هو لقاها وعنسافر بيها بكرة.

ضحك سعيد:

- أنا قلت كده، ما كيمو هيصاحب مين، أكيد معاتيه زيه، هو مستخبي مني ولا إيه؟!

خرجت من الغرفة:

- ازيك يا سعيد.
- أنت هتصاحبني يابني، اشربوا أنتو الشاي مش ناقصة تخلف هي.

خرج سعيد من المنزل رافعا رأسه بشموخ فغضب حسن:

- الواد جيه علم علينا ومشي.

تحدث وليد:

- أنتو مشفتونيش وقفت له ازاي.

تحدثت:

- ايوه أنت خارق.

برغم إنني قد أواجه أشخاص أقوى من سعيد دون أي خوف، إلا أنني أهاب سعيد لسبب لا أدركه، ربما لأنه قام بضربي حين كنت صغيرا! حقا لا أعلم.

انتقل بنا الزمن عدة ساعات بمنزلي، لم يتغير العالم ولكني تغيرت، وأصبحت كشارع انتهت فيه مظاهرة تخريبية للتو، الكلمات تتطاير في الهواء بلا قيمة، وكل ما تم معرفته هو هدف كل شخص من هذه الرحلة.

ماندو يريد أن يبيع الآلة ليصبح غنيا، وحسن يريد أن يصطاد أحد الحيوانات المنقرضة التي لا يوجد لها حفرية والعودة بها إلى عالمنا، ووليد يريد تدوين تفاصيل الحيوانات والطبيعة بقدرته الدقيقة على الوصف، وتيتو يريد أن يدعمني كي أصنع بعض الفيديوهات هناك لتكون حجر أساس قاعدتي الجماهيرية عندما أعود، أما شفاط فلا أعلم لماذا يريد أن يذهب ولا قيمة من ذهابه:

- كلنا حطينا أمل عليك يا ماندو، عارف لو الآلة طلعت فستك؟

- دلوقتي حطيتوا أمل عليا مش من شوية ماكنتش عايز تروح.

تدخل تيتو:

- هي الرحلة هتبقى ناشفة كده يا جماعة؟

حاوره حسن وأنا أنظر إليهم:

- كيمو هو اللي يعرف النسووان يا عم بس بيعزهم علينا.

- لا كيمو مش بيعزهم علينا هو خايف نفضحه نيهاهاها.

تحدث ماندو:

- بصراحة عنده حق.

قاطعه وليد:

- ليه كده بس؟!
- لما أقوله كده هيتحرج ويكلمهم.
- كمين يعني.
- أنا بدهبزه وأدهرزه علشان يبرعش ويحنكش ويبقى آخر طعطعة.
- بحبك يا ستموني مهما الناس لاموني.

أحيانا أشعر أن وليد كالقطن؛ تتغير شخصيته بما يدور حوله، إذا جلس مع ماندو كثيرا تطبع بطباعه وأصبح تافها، إذا قرأ كتاب تاريخي يصبح نابليون بونابرت، وإذا شاهد فيلما عن الفضاء يتحدث كالفضائيين. تحرك فم السكير بعيداً عن زجاجة البيرة قليلا:

- عات نسوان معانا.
- اهه شوفتوا، المفروض أنا أعمل ايه بقي.

نظر حسن إلى السكير:

- هي دي الازازة الكام يا حبيبي؟
- مش عارف.

تحدثت إلى حسن:

- هو تقريبا جاب المحل كله معاه وهو جاي.

اتصلت بسارة، أخبرتها بكل شيء؛ طالبا منها أن تأتي مع أصدقائها، ولا أدري كيف قمت بهذا الخطأ الشنيع الذي قد يجعل سارة تنهي علاقتها بي قبل بدايتها. بعد أن ترى الوجه الآخر لي مع أصدقائي الفوضويين.

مر الوقت دون أن ننام وانطلقنا في رحلتنا، تفاجئنا أن سارة قابلتنا مع صديقة شقراء ورجل عابس ذو شارب غير متناسق مع وجهه. لم نتحدث كثيرا، تلاقت يدينا وابتسمت عيوننا " فيما عدا ذا الشارب" ثم تابعونا بسيارتهم أثناء صدمة أصدقائي وتأنيبهم لي أنني لم أوضح لسارة أننا نريد أصدقاءها البنات فقط وليس شخصين مرتبطين، قضينا الكثير من الوقت في الصحراء حتى وصلنا الى المقبرة.

باب حديد ملتصق بالأرض فتحه ماندو بمفتاح معه، تحدثت سارة:

- Oh it's so exciting

تهامس تيتو في أذني كأنه سيخبرني سرا:

- هي صاحبتك بتقول ايه؟!
- لا بقول لك ايه اهدى كده، أنت هتفضحنا من أولها.

هبط الجميع على سلم خشبي إلى الداخل فيما عدا أنا وسارة والعابس وصديقته.

تحدث ذو الشارب بنبره متعالية:

- مين بقى فيكم صاحب الفكرة اللذيذة اوي دي؟
- هتفرق معاك؟

لا أدري لماذا رددت عليه هكذا؟ برغم أنني أميل للردود الدبلوماسية

- أنت مين أنت؟ مين ده يا سارة؟!
- أنت اللي مين؟! هو أنت اللي جاي علينا ولا احنا اللي جايين عليك؟

أعتقد أن شاربه يحترق الآن، ووصل الدخان إلى عينيه، فأصبحت ملتهبة:

- أنت بتقولي أنا كده؟ عظيم عظيم، يلا يا ريم من هنا مش ناقصة تخلف وأشكال ضالة على الصبح، يلا يا سارة.

نظرت ريم إلى عيني بخجل وهمست:

- أنا آسفة.

سمعها ذو الشارب المحترق فثار غضبا:

- أنتِ بتتأسفي كمان، أنتِ عبيطة.

لا أدري ماذا حدث وجعلني أنفعل هكذا:

- بقولك ايه ماتكلمهاش كده.

- وأنت مال أهلك.

تدخلت سارة:

- هي الساعة كام دلوقتي؟

توكتوك يأتي من بعيد، وقف أمامنا ونزل منه سعيد:

- هي دي المقبرة؟!

لقد كان سعيد يراقبنا طوال الطريق، ماذا سأفعل الآن؟! تحدث شاكر إليه:

- أنت مين؟

- أنت هتصاحبني يالا، خش ياض منك ليها لما نشوف آخرتكم ايه.

- أنت بتقولي أنا يالا، يا حثالة.

ضرب سعيد شارب الرجل لكمة عنيفة فأسقطه على سلم المقبرة، صرخت ريم ثم دخلنا مسرعين، فسمعنا صوت ماندو:

- فيه ايه يا جدعان، مين اللي عمل في الواد ده كده؟

- أنا يا حبيبي.

تفاجأ الجميع بوجود سعيد، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا فيما عدا حسن الذي نظر إليه بغضب بسبب الشجار القديم، ونظر وليد إلى الأسفل خجلا متذكرا ما حدث له منذ ساعات،

لم يكن ماندو يكذب بشأن آلة الزمن، فأنا أراها بعيني الآن كما وصفها لي، المكان قاتم للغاية، الأكسجين يكاد يكون منعدما، جهاز غريب به شفرات عجيبة أمامه صندوق يشبه التابوت وكتالوج في يد ماندو:

- جاهزين يا جماعة؟! هي عشر دقائق هنروحها اللي هيعجبه الوضع هناك وهيعطلنا هنرجع من غيره مهما كان مين.

نظر ماندو إلى سعيد أثناء حديثه:

- طريقة الرجوع هي إننا هندوس على الزرار ده واحنا ماسكين ايد بعض، اللي عايز يعمل حاجة يبتدي فيها أول ما نروح ... تمام.

تحدث الجميع في وقت واحد (تمام) فيما عدا تيتو وسارة وريم، الذين يجلسون بجانب الرجل العابس ويحاولون أن يفيقوه. تحدث حسن بتلقائية:

- هو مات ولا ايه؟

نظرت ريم إليه بغضب.

- أنا آسف.

فتدخل ماندو:

- بصوا يا جماعة احنا مش هينفع نسيبه هنا لعدة أسباب، الأول لو بعد الشر حصله حاجة هنلبس كلنا، الثاني لو مامتش ممكن يفوق ويعمل حاجة في آلة الزمن مانعرفش نرجع فهو لازم يجي معانا.

تدخل تيتو:

- هو لازم يروح لدكتور.

تدخلت سارة: ريم دكتورة تبقى تكشف عليه هناك.

تحدثت ريم:

- أنتو هتودوه ازاي وهو كده، أنتو اتجننتوا؟

تحدثت إليها:

- محصلوش حاجة، هيفوق ماتخافيش.
- أنت بالذات تسكت خالص.

شعرت بالخجل ونظرت إلى الأرض. تحدث ماندو:

- كده كده الصندوق مش بيشيل غير واحد بس فهنحطه أول واحد ونشوف ايه اللي هيحصل.

قام ماندو بتشغيل الآلة ووضع الرجل بالصندوق، نظر الجميع بترقب منتظرين أن تنكشف الكذبة، متأكدين أن شاكر سيظل كما هو ولن يذهب إلى أي مكان، اهتز الصندوق، صرخ البعض، اختفى شاكر. صدمة احتلت وجوهنا جميعا من أثرها تحدثت سارة:

- Oh shit ده اختفى بجد

صرخت ريم:

- أنتو بتهزروا، ايه اللي حصل؟!

رد ماندو: امال فاكريني بهرتل.

حاولت أن أجعلها تطمئن برغم عدم فهمي ما حدث:

- ماتخافيش هنروح نلاقيه.
- كله بسببك أنت.
- أنا؟!

لماذا هي غاضبة مني فسعيد هو من ضربه؟

- عو راح فين؟
- أنت هتسافر بشنط البيرة دي؟

تدخل سعيد:

- أه خليه يسافر بيها هنحتاجها هناك.

نظر سعيد إلى شفاط واستكمل كلامه:

- عاش شبحنة.

تحدثت غاضبا: ايه يا جدعان الهزار ده؟!

تدخل حسن:

- البلاستيك و الازايز نرجع بيها، ماينفعش نغير أي حاجة في الطبيعة هناك علشان الدنيا ماتبوظش دلوقتي.
- عرجع بيها.

تحدث ماندو:

- يا جدعان دي عشر دقائق مش مستاهلة يعني، ادخل يا عم.

دخل شفاط مع أشيائه داخل الصندوق، واختفى، ثم تتابعنا واحد تلو الآخر حتى جاء دوري، دخلت الصندوق مجبرا بجسد يرتجف كسمكة خرجت من الماء ولا تستطيع التنفس:

- هو لازم أروح يا ماندو؟
- انت أهم من حسن اللي عارف المعلومات كلها يا صاحبي.
- ليه يعني؟
- باي باي.

ضغط ماندو على الزر، ثم غبت عن الوعي.

الفصل الثاني: العصر الكربوني

برغم شعور الأسى والحزن على أحبائي الذين غادروا عالمنا من قبل، لم أدرك مدى معاناتهم إلا الآن وجسدي متكتل كحجر صلب، نشأ أثناء الانفجار العظيم قبل ٤.٥ مليار عام، ولا أحد يستطيع تحريكه من مكانه حتى بأحدث الآلات المخصصة لذلك، كما أن عيني أصبحت كزهرة ذبلت قبل أن تزدهر، أو بيضة لا يوجد جنين بداخلها، أعتقد أنني ميت الآن. ولكن كيف ذلك؟ أنا أشعر وأفكر وأتنفس بعمق لأول مرة في حياتي، ليس فقط لأن الهواء نقي، بل لأنه يمتلئ بالأكسجين؛ وذلك جعلني أظن أنني أبعث مرة أخرى؛ فالهواء الذي أستنشقه يبث الحياة بداخلي كإعادة الروح لشخص ميت.

تنفس أنفي عدة ثواني، واحتفظ بالهواء قليلا إلى أن أخرجه فمي ببطء لبعض الوقت، حتى استطعت أن أفتح عيني تدريجيا بتردد وقلق شديد وبدون استعداد للمجهول؛ فسقط عقلي في بئر زمني مفقود وتوقف عن الاستيعاب قليلا، ثم أشرق بعد ذلك حين رأت عيني المكان مصبوغا باللون الأخضر؛ كأنني داخل لوحة حقل القمح وأشجار السرو لفان جوخ، الأشجار عملاقة ومتنوعة، تختلف أشكالها عن كل الأشجار التي رأيتها من قبل، فيما عدا بعضها الذي يشبه السرخس كثيرا، صوت حفيف الشجر مع خرير الماء المار بين بعض الأشجار كالمستنقعات يجعلني أعتقد أنني في الجنة، ولكن هل الجنة بمثل هذا الجمال؟!

مكثت في مكاني بعض الوقت مسترخيا، أقوم بعملية الشهيق والزفير، وكلما أطهر رئتي من الغازات السامة أطهر عقلي وأفرغ روحي الذابلة من كل ما رأيته سابقا، وبعد فترة ليست طويلة شعرت أنني نقيا تماما أتأمل كل شيء حولي وأمتصه بداخلي، كأنني أتغذى على الطبيعة وأتذوق

طعم الحياة، استشعرت أصابعي تدريجيا، حركتها ببطء ثم حركت ذراعي وباقي جسدي، حتى انتعشت كأنما تمت ولادتي من جديد، وأصبحت أستطيع التحرك والبحث عن أصدقائي. ولكن مهلا، اللعنة على ذلك! لقد أخبرنا ماندو إنه سيعود من هذا العالم بعد ١٠ دقائق فقط، كم مر من الوقت حتى الآن؟ هل ذهبوا وتركوني؟!

لقد توالت الساعات على ما أعتقد، ولكن لابد أنهم ما زالوا هنا، فأنا استفقت للتو ومن المؤكد أن الجميع كذلك، اطمئن قلبي بعض الشيء، أو أن الأكسجين المنتشر أثلج صدري وبث الهدوء بداخلي. تحركت من مكاني أستكشف النباتات والأشجار المتنوعة، العملاقة والقصيرة، إنها الحياة، الحياة التي تسكن عقلي وتتغذى على أفكاري، الحياة التي دائما أبحث عنها ولا أجدها حتى بأحلامي، كيف يمكن أن ينتهي كل هذا الجمال يوما ما؟ أو إنه انتهي فعلا بالنسبة لي أمس.

تحركت في هدوء واستمتاع متظاهرا بأنني أبحث عن ماندو لأعود معه إلى المدينة السامة التي أعيش فيها إلا أن شيئا بأعماقي يتمنى ألا أجده؛ فأنا أمقت العالم الذي أعيش فيه، العالم الذي أفسده الإنسان وأهلكه في سنوات قليلة، أخرجت هاتفي وقمت بتصوير المكان حولي، بتفاصيله، بأوراق الشجر المختلف. ولكن الفيديو يظل فيديو "مجموعة من الصور الكثيرة المتتالية فقط " لن يغني عن الشعور بالدفء والراحة ولن يعكس هذا الإحساس، يجب أن أستمتع بكل لحظة لي في هذا العصر.

مضيت إلى الأمام دون أي خطة إلى أن وجدت شجرة قصيرة سهلة التسلق وشعرت بأنها تناديني، تسلقتها لعلي أرى من فوقها أصدقائي؛ ولكنني حين تسلقت لم أرى شيئا بسبب الشجر الكثيف المجاور لها وبسبب قصرها، جلست فوقها بعض الوقت مسترخيا تماما في درجة حرارة ٢٠ درجة مئوية، واستيقظت حين شعرت بسقوطي، صرخت يدي تحتي،

وصبغ اللون الأحمر أماكن متفرقة في ذراعي دون أن أنزف قطرة دم واحدة، طلبت المساعدة وأنا أعلم أن الأشجار لن تستطيع أن تساعدني.

إنه لمن الجيد أنني لم أتسلق الشجرة الأخرى التي بجوارها فطولها ٢٠ مترا، وبرغم أن صوت الطبيعة هو المحبب إلى أذني إلا أنني أتمنى أن أسمع صوت أصدقائي؛ فأنا لا أستطيع التحرك ويجب أن يقوم أحد بربط ذراعي حتى يلتحم الكسر بطريقة صحيحة. مرت ثواني ودقائق وساعات ولم يحدث شيء. اقترب رحيل الشمس وسيتحول لون السماء الأزرق النقي إلى ظلام دامس أجهل ما سيحدث تحته.

اللعنة عليك يا ماندو وعلى من يسمعك! لطالما أهملت كلامك فلماذا أنصت لك هذه المرة؟!

هل الفيديو الذي صنعته يستحق هذه المعاناة؟

ربما يستحق إذا عدت فقط ولكن هل من عودة؟!

عزمت على الرحيل محاربا الزمن في إيجاد أصدقائي قبل غروب الشمس، أسير كطفل يتعلم الحركة يعرقلني ألمي إلى الخلف ويدفعني خوفي إلى الأمام، أقاوم ألمي وأغوص في المستنقعات، ليتني قرأت القليل قبل أن آتي إلى هنا، أحاول أن أسير بجوار الأشجار والابتعاد عن المياه؛ فأنا لا أعلم مدى عمقها ولن أستطيع السباحة بيد واحدة. مرت ساعات، هلكت قدمي، تضورت جوعا وعطشا دون أن أستطيع الارتواء، ولن أتناول أوراق الشجر بالتأكيد، غابت الشمس ما بين الاشجار العملاقة وتركتني أتغذى على خوفي ويتغذى خوفي علي.

حتى سمعت صوت حشرة ضخمة تأتي من بعيد، صوت غريب لم أسمعه من قبل جعل جلدي ينسلخ عن جسدي، صوت يأتي من السماء كما لو أنه طائر؛ رغم أن الطيور لم تظهر في هذا العصر. توغل الرعب في أحشائي واستأصلها، وهذا جعلني أتمنى من أعماقي أن يكون ذلك وهما في رأسي وتلفا في خلايا عقلي المريضة؛ فأنا أعلم أن الطيور تطورت

مـن الأركيـوبتركس، الـذي بـدوره تطـور مـن الديناصـور فـي العصـر الجوراسي، وهذا العصر لم يأتي بعد وسيأتي بعد ملايين السنين.

وبمـا أن الإدراك بطـيء والوقت لا نملكـه ظهـر الكـائن المرعب قبـل أن يعطـى لعقلـي فرصـة للتخيل، حشرة بأربعـة أجنحـة تشبه اليعسوب قليلا تطير فوقي، تغطيني بظلالها ويصعقني هواء أجنحتها الأربعة الذي يعادل عرض أحدهما مرة ونصف طول ذراعي وأكثر من نصف ذراعي طولا، ليتني أستطيع أن أتحلل الآن؛ فالصرصـور الـذي أراه فـي غرفتـي يجعلنـي أصطدم بالحائط مرارا وتكرارا هربا، فكيف لي أن أتعامل مع هذا الكائن العملاق؟

هرولـت كثيرا فـي كـل اتجـاه ومـا زلـت أقـف فـي مكـاني، وكلمـا نظـرت للأعلى وجدت هذه الأجنحـة ترفرف فوقي وتدير رأسـي كدورانها الذي جعلني أعتقد أن البشر اخترعوا المروحة بعدما اكتشفوا هذه الحشرة.

هرولـت دون وجهـة أو هـدف حتـى جـف لعـاب فمـي وانعـدم تـوازني، فسقطت علـى الأرض وأصـبحت وليمـة جـاهزة لهذا العمـلاق، هذا جـزاء غذائي على الكائنات الأخرى في عالمي ولذلك أستحق هذا العقاب، سحبت رمـوشـي فـوق عينـي وزحفت بكـل أطرافـي علـى بقايـا الأرض المفروشـة تحتـي حتـى أصـابني الصـمام المؤقت حـين سـمعت صـوت الحشـرة تتجـه نحـوي، واحتـل الأدرينـالين دمـي الـذي جـف فـي جسـدي ودفعنـي للوقـوف والاتجاه نحو المستنقع سريعا ثم القفز به، لم يكن المستنقع عميقا ولكننـي تواريت عن الأنظـار بداخلـه واخترت أن أمـوت مختنقـا بعدم التـنفس وألا يقتلني هذا البشع.

ولكـن الأمـاني دائمـا تتحـداني وتنفـر منـي فهـذه الحشـرة العملاقـة تسـبح بجواري الآن، ويبدو أنني سـأنتهي بـالطريقتين معـا، تركـت نفسـي للنهايـة المحتومة لثواني حتى تحداني ذراعي الذي يؤلمني من السقوط وخرج عن كينونته المتوجعة فساعده ذراعي الآخر في قطع شوط هائل من السباحة

لا فائدة منه؛ فالكائن يستطيع أن يصل لي في أقل من ثانيتين مهما هربت ولكنه يبدو أنه لم يكن يطاردني من البداية، يا لي من غبي!

لقد حاربني خوفي ولم يحاربني الكائن بعد، ابتعدت عن المكان بعد أن أهلكني ألد أعدائي الذي يسكن بداخلي، لم أعد أرغب في الارتواء الآن فقد شربت ما يكفيني أياما أثناء هروبي، خرجت من المستنقع، ألقيت نفسي مستلقيا على الأرض، وغرقت في نوم عميق استيقظت منه في ظلام كاحل.

خرير الماء، حفيف الشجر، الأصوات التي كانت تروقني نهارا أصبحت لحنا مرعبا، والأشجار الطويلة تحجب ضوء القمر، أخرجت هاتفي وساعدني ضوؤه على الرؤية بعض الشيء، من الجيد أنه ضد الماء وإلا كنت فقدت كل شيء.

التهمني الجوع ولم أقوى على السير فالتهمت بعض أوراق الشجر واتجهت نحو البحر، يا له من مظهر رائع، القمر في تمامه، يلقي ضوءه على المياه المحاطة بالأشجار والنباتات. أعتقد أنني سأمكث هنا بعض الوقت أتأمل روعة المكان؛ فبرغم كل ما حدث لي إلا أنه ما زال هذا الشيء بداخلي يتمنى ألا أجد ماندو الآن، ولكنني بالطبع لن أستطيع أن أعيش وحيدا على الكوكب.

قضيت بعض الوقت متناسيا ألم ذراعي إلى أن سمعت صوت حشرة أخرى فقررت الهروب، سرت ببطء على أناملي، أحارب خوفي أولا، وأهرب من مصيري المحتوم دون أن أصدر أي صوت حتى لا يسمعني أي كائن هنا؛ فبرغم قانون البقاء للأقوى إلا أنني أعتقد بأن الكائنات المنقرضة أقوى من الموجودة في الزمن الذي أتيت منه. ولكن التي انقرضت تعرضت لكوارث طبيعية لن يستطيع أن ينجو منها الإنسان الحديث نفسه؛ فالقادر على التعايش في بيئة من الممكن ألا يقدر على التعايش في بيئة أخرى، ضوء الهاتف يحدد رؤيتي ولا يجعلني أرى

الحشرات التي أسمع صوتها، ولكن يبدو أنها حشرات عملاقة، حيث أن صوتها يكاد أن يثقب أذني.

أكملت سيري حتى اختلفت الأصوات وسمعت نقيق ضفادع مرتفع، أيتها الشمس أشرقي أرجوكِ، إنني أصغر من أن أقاوم كل هذا، أشرقي وأبعدي كل الكائنات المخيفة عني؛ فأنا لن أموت مفترسا بل سأموت رعبا، كم أكره الضفادع! تحولت خطواتي إلى ركض، تحولت رؤيتي للأشياء إلى تجاهلها وعدم النظر إلى تفاصيلها حتى لا أكتشف شيئا يقتلني خوفا.

وأثناء ركضي بحثا عن اللا شيء، بحثا عن أصدقائي الذين عادوا أو أصبحوا وجبة لأحد الكائنات، سقط الفضول على كائن أخضر عملاق يقف أمامي، إنه ضفدع بثلاث عيون. ركضت إلى الخلف قليلا ثم سقطت غائبا عن الوعي، ولم تستجب عيني للاستيقاظ إلا بعد مجيء الشمس مرة أخرى. ما زلت لا أنتقص شيئا، لقد تأملت أصابعي يوميا عندما كنت أستضيف الفأر بمنزلي.

والآن، أنام في غابة بالعصر الكربوني ليلا وسط وحوش منقرضة ومازلت حيا ولكني لا أعلم ماذا سيحدث بعد خمس دقائق، ولا أعلم إلى أين أتجه؟ ولماذا؟ فبالطبع لن أجد أحدا. ماذا إذا كان مقدرا لي أن أحيا ٥٠ عاما آخرين هنا؟! ما هذا العبث وما فائدة ذلك؟ سأتمنى حينها أن أموت الآن، ولكن لماذا؟ هل وجود أشخاص من حولنا هو الدافع الذي نحيا لأجله ولا قيمة لحياتنا إذا أصبحنا منعزلين؟

هذه نتيجة خطيرة لم أكن أتوقعها، وجودنا في هذا العالم هو من أجل تحقيق غاية معينة قد تكون أي شيء بسيط. ولكن يعتمد تحقيقه على البشر حولنا وإذا كنا وحيدين حقا فلا أهمية لأهدافنا أو غاياتنا طالما لن يرى نجاحنا أحد؟ هل تحقيق الغاية ليس له أهمية إذا لم يره أحد؟

ماذا لو فقدت أي وسيلة للرجوع إلى المستقبل مرة أخرى؟ ماذا إذا عادوا الآن؟ لن يكون هناك قيمة لحياتي مهما فعلت، حتى لو حييت في مكان لا

يوجد به حيوانات مفترسة، واكتشفت طعام أستغيثه واستضفت الطبيعة بداخلي طوال حياتي، الملل سيقتلني. ولكن هذا لن يحدث، فإذا مر يوما آخر وما زلت حيا سوف أتعجب للغاية.

جلست في مكان بعيد عن المستنقعات يبدو أنه آمن بعض الشيء ثم قررت أن أصبح كالطائر الذي لم يأت بعد، واتخذت مكان فوق غصن شجرة طويلة عريضة حتى لا أسقط من فوقها وحين أجوع سيكون طعامي هو أوراق تلك الشجرة، وحين أظمأ سوف أذهب إلى أحد المستنقعات سريعا، وأعود مرة أخرى حتى أموت وأنا غير مقصر تجاه حياتي. أعتقد أنني مستعد لذلك الآن.

مرت ساعات والملل تغذى على روحي، هل سأقضي ما تبقى من عمري هكذا؟ وما الفائدة إذن؟! يعسوب ضخم آخر يطير باتجاهي من بعيد، قفزت من فوق الشجرة واختبأت وسط مجموعة من الشجر المتلاصق، الذي يمنع اليعسوب من الهبوط بينهم بسبب حجم جناحيه. لطالما بكيت أثناء كتابة رواياتي أو الأفلام الرومانسية التي أشاهدها ولكني لم أبكِ أبدا من شدة الخوف؛ برغم أنني أخاف دائما، ساعتان مروا كيومين، تحركت ببطء حتى لا أصطدم بأي ضفدع أو حشرة إلى أن وجدت أول المفقودات ملقاة في منتصف الطريق، يلتحم وجهها بالأرض ويبدو أنها ميتة، لقد كانت ريم؛ هرولت إليها أتشبث بأمل أن تكون حية، ولكنني أصبت بحزن دفين حين لم تستجب لي:

- فوقي أبوس ايدك فوقي.

لا جدوى من تحريكي لها، ولا أعلم كيف أتأكد من النبض أو دقات القلب، فحملتها على كتفي وسرت بها حزينا، أبكي لما حدث لها، برغم أنني عرفتها لوقت قصير، امتلأ بالشجار، إلا أنني أتمنى أن تعود إلى الحياة مرة أخرى، فأنا لا أستطيع أن أحيا وحيدا في هذا العالم.

ذهبت إلى أحد المستنقعات، وضعت رأسها بالماء، ورأيت بثور الفقاعات في الماء فقاومته وأخرجت رأسها منه ثم تنفست بسرعة شديدة لفترة طويلة:

- أنا فين؟!
- كله كويس متخافيش.

تنهدت أثناء التقاط أنفاسها:

- هنرجع خلاص؟

عجز لساني عن النطق، فنحن هالكان بلا شك، ولكن كيف سأخبرها بذلك؟

- مابتردش ليه؟

عيني تحدثت معها وأخبرتها الحقيقة دون أن ينطق فمي، ثم تحدثت لإخماد روعها:

- هندور عليهم ونلاقيهم، أكيد مامشيوش.

أبعدت ريم يدي عنها:

- ابعد عني، سيبني أموت لوحدي، مش عايزة أموت معاك، أنت السبب في كل اللي حصل ده.
- أنا السبب ازاي؟! أنتِ جيتي هنا بمزاجك، أنا معرفكيش أصلا.
- أنت اللي اتصلت بسارة وقلتلها الدنيا أمان وهنرجع بسرعة، أنت اللي فهمتنا إننا رايحين رحلة وبسببك برضه صاحبك ضرب شاكر ومعرفش حصله ايه دلوقتي.

الإحساس بالذنب شيء افتقدته ولم أشعر به سابقا؛ فأنا دائما أضر نفسي ولم أتسبب في أي أذى لأي شخص قبل الآن:

- أنا آسف مكنتش أعرف إن ده كله هيحصل.

- ياريتني كنت مت أحسن.

ما فائدة لساني إذن، لقد دمرت حياتها كما دمر ماندو حياتي، لقد اقترفت نفس الخطأ، الذي فعله معي، ومعها، ومع شاكر وسارة. إنها محقة تماما فالموت الهادئ أفضل كثيرا من الحياة المهددة بالموت الشنيع:

- لا طبعا كده أحسن، لأننا هنلاقي ماندو وهنرجع معاه، أنا متأكد إنه مش هيسيبنا. ماندو ده صاحبي وأنا أكتر حد عارفه، هو عمره ماهيتخلى عننا أو يرجع من غيرنا وهو دلوقتي بيدور علينا زي ما احنا بندور عليه وهنرجع معاه قريب جدا.

الكذب ليس دائما سيء لأنه أحيانا يعطي هدفا للحياة نحيا لأجله، وحتي إن كان هذا الهدف عبثي فإن وجوده أفضل من عدم الإيمان به، وإخلاء الحياة من أي قيمة أو معنى.

ترغب عيون ريم أن تصدقني لأنها لا تملك حلا آخر، إما أن تفعل ذلك، وإما تلقي بنفسها في فم حيوان مفترس.

مرت بعض الساعات التي نبحث فيها عن المفقودين دون أي جدوى، أو أن ترد على أي دعوة للأمل أتفوه بها، حتى سمعنا صوت عنيف جعل الأشجار ترتعد حولنا، كدت أن أهرب وحيدا ولكني تذكرت الكائن المتجمد خوفا بجانبي؛ فقبضت على يديها وهرولنا بين الأشجار التي تحمل بعض الزواحف الغريبة، أوراق تتساقط فوقنا وحشرات غريبة تنظر إلينا، ولكننا لا نهتم بما نرى أو نسمع، فأصوات أنفاسنا الصارخة احتلت مسامعنا والفوضى التي يصنعها الكائن أثناء مطاردتنا تمحو كل حواسنا؛ فهو سريع للغاية ولكنه يتوقف حتي نبعد ثم يسرع نحونا إلى أن اقترب منا فدخلنا بين شجرتين ولم نجد أي طريقة أخرى للهروب، الطريق مسدود بالأشجار.

تسلقت ريم إحداهما بانسيابية شديدة ولكنني لم أستطع، عجز ذراعي عن مساعدتي هذه المرة ووهبت نفسي لهذه الأرض كي أصبح كائنا منقرضا بالنسبة للعالم الذي أتيت منه، نظرت نحو طريق نهايتي والكائن الذي سينال شرف تدميري، فوجدته أحد الزواحف العملاقة الذي يزحف باتجاهي بسرعة تكاد أن تسقط الأشجار فوقي وصم أذني صراخ ريم الذي يأتي من الأعلى.

حيوان أخضر عملاق يشبه الأرض التي يزحف فوقها، رأسه طويلة ونحيفة، فوقها أشواك وأسنانه تكاد أن تفتتني، أما باقي جسده فهو عريض للغاية فيما عدا ذيله الذي يقل قليلا عن حجم رأسه، ذهبت أعصاب جسدي وتركتني أسقط أمام هذا الكائن مغمضا عيني حتى لا أرى هلاكي بعيني، كاد قلبي أن يتوقف وسمعت ريم تهبط من على الشجرة، فتحت عيني على صوتها وهي تطلب مني أن أقف وأمسك يدها.

نظرت نحو الكائن الغريب فوجدت رأسه مرت ما بين الشجرتين ولكن جسده العريض لم يساعده على المرور، نظرتي لتفاصيل وجهه الثائرة أفقدتني كل القدرة على الوقوف ولم أستطع أن أطلب من ريم الصعود وتركي، لقد أصبحت مشلولا، بهت العالم وغبت بعض الوقت حتى شعرت بيد ريم تهزني وسمعت صوتها:

- فوق هو مشي خلاص فوق.

فتحت عيني ببطء فنضر وجهها الأصفر قليلا، وسكنت بعض الشيء، ثم مدت يدها لتوقفني:

- يلا بينا.

لم أستطع أن أمد لها ذراعي المصاب فمددت الآخر

- مال دراعك؟

أخذت بعض الوقت لاستعادة السيطرة على لساني والتحدث مرة أخرى:

- مفهوش حاجة.

اقتربت ريم مني وأمسكت ذراعي:

- حاسس بحاجة هنا؟
- لا.

نظرت إلى عيون ريم متعجبا كيف تناست وجعها سريعا وتسأل عن وجعي، هل لأنها تأكدت أنني أعاني مثلها في هذا العصر؟!

ضغطت ريم على مكان آخر:

- طب هنا؟
- مش أوي.

ضغطت على منطقة أخرى في ذراعي فتوجعت قليلا:

- شرخ بسيط أوي، الخوف هو اللي شل حركتك مش أكتر، اقلع التيشيرت اللي أنت لابسه تحت ده.
- ايه؟!
- هبعد وشي لو مكسوف.

ابتسمت وتحدثت بمرح رغم أنني ما زلت مستندا على الشجرة والخوف يحاوطني من جميع الجهات:

- أنتِ فهماني غلط على فكرة، دي حاجة تبسطنى خالص.

تحدثت ريم بجديه:

- اخلص يا خفيف.

أعطيت التيشيرت لريم فقطعته:

- ايه ده بتعملي ايه؟!

ربطت التيشيرت على يدي ربطة محكمة لتجعل الشرخ يلتئم سريعا:

- ماتحركوش كتير.
- شكرا.
- شغلي أعالج المريض عموما حتى لو هو إنسان سيء.

نظرت إلى الأرض خجلا، وتذكرت أنها طبيبة كما أخبرتني سارة.

- احنا ماينفعش نتحرك من هنا دلوقتي، ممكن يكون الكائن ده في أي حته قريبة.
- مش معانا وقت، ممكن أصحابك يرجعوا ويسيبونا، وساعتها هنلاقي مليون كائن من ده.

وهل سيمر علينا مليون كائن دون أن نموت؟

- هو أنت لقيتني فين؟
- لقيتك عند المايه.
- يعني مش أنت اللي أنقذتني؟!
- لا.

لا أعلم لماذا لم أخبرها بالحقيقة؟ ربما لأن الموت أفضل.

- افتكرتك أنت اللي نقلتني.
- لا وأنا هعمل كده ليه.
- فعلا ايه اللي هيخليك تعمل كده.

يبدو أنها حزنت، ليتني أخبرتها الحقيقة.

قضينا بعض الوقت أحاول أن أجعلها تضحك ولكني أريد البكاء. ثم شعرت بأنني أحمل كل عذاب العالم، فقد كنت حزينا على إهدار حياتي هكذا، والآن الحزن تضاعف كثيرا حينما شعرت بإهداري لحياتها أيضا،

وعدم قدرتي على فعل شيء لها. جلست وحيدا متألما محاولا عدم إظهار ذلك.

تحركت ريم بمفردها وعينيها كالسحب الممتلئ بالأمطار، ابتعدت قليلا ثم جلست في وضع القرفصاء ووضعت رأسها بين قدميها لتنهار السحب من عينيها دون توقف، ماذا يجب أن أفعل؟ هل أتركها تطهر سماءها أم أحاول مواساتها بكلمات غير حقيقية؟ صوتها الحزين يتسلل إلى قلبي ويعتصره، عجزي عن فعل شيء يماثل شعور دجاجة في يد ذابحها. نحن ضعفاء للغاية، مشاعرنا هي سبب ضعفنا؛ فالخوف والألم من المجهول أشد من الاصطدام بالواقع المميت.

نحن نعاني لأتفه الأسباب، كانقطاع الإنترنت، أو تغير موعد النوم والآن نحن ضائعان في عصر انتهى منذ ٣٠٠ مليون عام فماذا سيكون شعورنا؟

جفت السحب بعيون ريم، اقتربت منها ببطء ثم جلست بجوارها، وبينما عيناها تراقب الأرض في صمت رهيب كتمثال بلا روح شعرت بيد دافئة تلامس وجهها البارد وتعيد إليه الحياة، لم تستطع أن تتحرك أو تقوم بأي ردة فعل حتى رفعت رأسها بهدوء واقتحمت عيناها حواجز لا تنتهي مع عيني وتشابكت معها، تحسست شعرها باعثا ضوء القمر في وجدان الليل الكئيب، حاولت أن تحتضني ولكن هناك شيئا يمنعها، فهي حائرة بين الاحتياج الشديد للشعور بالأمان وبين ذاكرة دفينة لجرح عميق بداخلها سببته لها دون قصد:

- اطلبي مني أي حاجة.
- اقتلني.

نظرت إلى الأرض حزينا ثم نظرت إليها:

- حاجة غير دي وقلبي يطاوعني أعملها.

ابتسمت ريم نصف ابتسامة:

- هتعرف تعمل اللي أنا عايزاه؟
- طبعا لا بس هحاول.

ستطلب مني إعادتها إلى حياتها التي لا أستطيع العودة إليها:

- ينفع أطلب أكل؟
- افتحي الابلكيشن واؤمريني، تأكلي ورق شجر من أنهي نوع؟ عندك أنواع كتير ومش هتشوفيهم تاني في حياتك.
- لا مأنا بجمعهم علشان أعمل عليهم دراسات لو رجعت.
- أنتِ علشان كده جيتي بقى؟
- أنا عايزة شيش طاووق.

ضحكت ريم وعينها مازالت تلمع بالدموع فابتسمت لضحكتها.

- فيه مطعم معين عايزة تروحيه؟
- نطلب دليفري ولا بتعرف تعمله؟
- لا أعملهولك بس هيبقى بوراك ضفادع مش فراخ.

ضحكت ريم مرة أخرى فاطمأن قلبي:

- بومباستك فانتستك.
- أنا عندي فكرة حلوة جدا.
- ايه الفكرة؟

اقترحت ريم أن نصنع صنارة بدائية ونصطاد بها أسماك من المحيط نأكلها، وبما أنه لا يوجد أكثر من الخشب نستطيع أن نصنع النار أيضا وسيشتعل بسهولة بسبب الأكسجين، نطهي بها طعامنا ونحمي أنفسنا من الحيوانات المفترسة. وبالفعل صنعنا صنارتين بدائيتين بدون خيوط أو

مسامير بعد عدة محاولات فاشلة، وضعنا فيها بعض الطحالب من المستنقعات وذهبنا إلى البحر:

- تتوقعي هنلاقي سمك أصلا في العصر ده؟
- هو اللي متأكدة منه إننا مش هنصطاد جمبرى.

ضحكت ثم ألقيت الصنارة:

- لما نشوف مين هيصطاد الأول.
- بس أنت اللي رميتها الأول.

انتظرنا بعض الوقت ولم يحدث شيئا.

- شكلنا عملنا الصنارة غلط وهنصطاد طحالب بالطحالب اللي حطيناها.
- صنارتي غمزت.

نظرت إلى صنارة ريم أراقب ما ستطعمنا إياه، سوف يدخل معدتي سمكة منقرضة شهية اليوم. رفعت ريم الصنارة ببطء وبيد مرتعدة لنري ما لا نتوقع رؤيته، سمكة نصف متر ممتلئة، قبيحة الشكل، لها زعانف خارجية وأجنحة كالطيور، صرخت ريم وألقت الصنارة بالسمكة في البحر، ركضت إلى الخلف وتتبعتها بعد سقوطي ثلاث مرات أثناء الركض من انهيار أعصابي:

- أنت شفت؟ السمكة ليها جناحات.
- أنا دماغي بتطلع شياط.
- طب دي ممكن تطير وتيجي تنتقم مننا.
- لا الصنارة شابكة في بوقها مش هتعرف وممكن تكون مابتتنفسش برة الميه.
- يا عيني.

صوت شيء يطير يتجه نحونا، نظرت ريم لي ثم ابتلعت لعابها وهرولنا إلى أن هلكت قدمانا:

- لسة عايزة تأكلي سمك؟
- أنا بعشق ورق الشجر، أنت تعرف أنا اتولدت زرافة بس لما كبرت بقى شكلي كده.
- لو أنتِ اتولدتي زرافة يبقى أنا أوكابي بقى.
- ده حيوان منقرض برضه؟
- ايه ده متعرفيش الأوكابي ده عايش في الزمن اللي كنا فيه، نصه من فوق شبه الزرافة ونصه من تحت شبه الحمار الوحشي وبياكل ورق الشجر برضه.
- معقول طب وهو تبع انهي عائلة، الزرافة ولا الحمار الوحشي؟
- لو كان تبع الحمار مكنتش هختاره.

ابتسمت ريم ونظرت إلى شجرة:

- عمرك طلعت على شجرة؟

نظرت إلى ذراعي المربوط فلاحظت الأمر وتابعت كلامها:

- كنت بفكر أطلع بس افتكرت خلاص.
- ماتخافيش هطلع معاكي.

نظرت ريم إلى ذراعي:

- لا ده شرخ بسيط ومش واجعني وأنا اللي نطيت كمان.
- ليه؟
- كنت بقيس زمن النطة على طول المسافة عادي ماتقلقيش.

اخترنا شجرة قصيرة وجلسنا فوقها معا حتى غاب ضوء الشمس وجاء القمر في تمامه ينير أرواحنا في قلوبنا المعتمة:

- كيمو هو لو مفيش أمل إننا نرجع، إحساسك هيبقى عامل ازاي؟
- لو كنت تأكدت من حاجة زي كده امبارح كنت هنتحر لكن هتصدقيني لو قلتلك إني دلوقتي مش عايز أرجع؟

تلألأت عيناها تحت البدر لتمثله على الأرض وأضاءت عيني بنظرتها لها، فتوارت هاربة من الجمال المفرط الذي لا تستطيع مقاومته:

- يعني لو بنيت بيت هنا هيبقى أحلى من البيت بتاعك؟

. يجب أن أوضح لريم أين أعيش حتى لا تظن أنني أمتلك قصرا بجزيرة ما:

- بصي أنا عندي شبشبين، شبشب للبيت وشبشب للشارع، شبشب البيت بتاعي أوسخ من شبشب الشارع بكتير، بالذات لما أصحابي بيجوا الشقة عندي.

ضحكت ريم وفي منتصف الضحكة تساءلت:

- هو أنت ليه اتصلت بسارة تيجي معاك الرحلة؟

انطفأت عيني وابتلعت لعابي كي أستعد للرد على سؤال لا أعلم إجابته، هل أنا أحب سارة حقا أم كنت أريد أن أحبها؟ وإذا تعلقت بها يوما فلماذا لم أفكر فيها طوال هذه المدة التي قضيتها هنا ولم أقلق بشأنها؟ أثار سكوتي تساؤلها فأكملت كلامها:

- سؤال صعب؟
- لا صعب في ايه، ببساطة لأننا كنا متفقين نلعب مزيكا مع الشلة بتاعتها وحصل الحوار ده في نفس الوقت اللي كنت هروح فيه فقلتلها.

لن أستطيع إخبارها أن أصدقائي أرادوا نساء معهم في الرحلة ولذلك اتصلت، سوف تحتقرني للأبد. نظرت ريم في عيني لتوترني وتعرف الحقيقة:

- بس كده؟
- أيوة بس كده.
- أنا فعلا كنت هلعب معاها مزيكا في اليوم ده.
- ايه ده بتلعبي مزيكا، بتعزفي على ايه؟
- تتوقع إيه؟
- بيانو؟!
- وأنت جيتار؟
- بومباستك فانتستك.

تناسيت معها أنني أعيش في زمن آخر، ومكان آخر، وأننا لن نستطيع العودة أبدا، وسنهلك بلا شك. نظرت ريم إلى القمر:

- القمر هنا قمور أوى.
- بس هو مش قمر واحد.

خجلت ريم ونظرت إلى الأرض:

- بس مش غريبة إنك دكتورة وبتلعبي بيانو؟
- هو أنت فاكر الدكاترة مابيحسوش بقى وكدا؟
- أنا عارف إنها مغالطة منطقية بس لو أنتِ دكتورة جراحة مثلا أكيد مش هتعيطي لو شفتي دم فاهماني؟!
- أنا درست طب علشان بابا كان عايز كده لكن أنا اهتمامي الأكبر بالجيوكيمياء، وعلشان كده جيت هنا وبجمع ورق شجر منقرض أحلله لما أرجع.

لا أعرف الكثير عن الجيوكيمياء، ولكني لا أستطيع إخبارها بذلك.

- يعني أنتِ عارفة الحيوانات اللي هنا على كده؟

أبعدت ريم عينيها فعلمت أنها لا تفقه شيئا عن الجيوكيمياء.

- وعلى كده أنتِ شاطرة في الطب زي الجيوكيمياء كده ولا ايه؟

ضحكت ريم:

- لا الجيوكيمياء أكتر.

نظرت إلى ذراعي متظاهرا بالقلق فضحكت ريم:

- ماتقلقش، لو حصل مضاعفات هيتقطع عادي.

- طب كويس أنا كنت متأكد إنك شاطرة فعلا.

- أه شطورة عندك مانع؟!

- يعني لو حاسس بأي تعب أقول لك هتخففيني؟

رفعت ريم حاجبها الأيسر متعجبة

- عايز إيه؟

وضعت إصبعي على وجهي:

- الحته دي بتوجعني مش عارف ليه.

وضعت ريم إصبعها على المكان:

- هنا؟

- أيوة وجعاني أوي.

- حط مكركروم.

- الصيدلية قفلت وكمان هي مش محتاجة مكركروم، طلعتِ مابتعرفيش تخففي.

قبلت ريم إصبعها ثم وضعته على خدي ونظرت إلى الأرض خجلاً. أتمنى لو أستطيع أن أحتضن كل هذه الطبيعة وأتنفسها بأشجارها وبحارها، بحيواناتها المتوحشة التي لا أخافها الآن. نظرت إلى ريم بوجه أحمر كنبات يسمي فراولة لا يوجد له أثر هنا؛ فسقطت من على غصن الشجرة وصرخت ريم:

- أنت كويس؟!

- أه متخافيش دراعي التاني سليم.

ضحكت ريم وضحكت معها، هبطت للاطمئنان أنني على ما يرام ثم جلست بجواري مستندة إلى الشجرة:

- ماتطلعش شجر تاني.

وضعت رأسها على كتفي وغرقت في نوم عميق بقلب طاهر يمتلئ بالخير والحب، وضعت رأسي فوق رأسها ولأول مرة أستكشف مذاق النوم وأغوص فيه، وما كان نومي إلا استكمال لقصتنا.

" ارتداء أوراق الشجر بعد ارتداء الملابس سابقا لم يكن سهلا في البداية، ولكن يبدو أننا لا نكترث للأمر واعتدنا عليه، ثلاثة أطفال حولنا يمرحون ويلعبون ببعض الحشرات الغريبة وأنا أرقص مع ريم نوع رقص أجهله، ثم تتشابك شفتانا والنيران تحاوطنا من جميع الاتجاهات لتحمينا من الحيوانات المفترسة، حتى اختفت ريم من يدي" فتحت عيني لأجد الشمس ساطعة في كامل شروقها وريم ليست بجانبي، انتفضت من مكاني كمن فقد ذراعه أثناء النوم أبحث عنها في كل مكان يحاوطنا ولا أجدها

- ريم، ريم..

صوتي يخترق حدود الموجات الفوق سمعية ولا ترد ندائي، الخوف قد يقتل أحيانا، قلبي يحارب الحياة بنبضاته السريعة وفي طريقه إلى التوقف.

- ريم..

انعدمت الرؤية من غيوم لا تجف مهما تساقطت من عيني وأحبال صوتية قررت أن أفقدها بصراخ قد يوقظ كل الكائنات في الغابة. صدمت رأسي بالشجرة عدة مرات حتى كدت أن أبتلع مخي، كائن ضخم يأتي من مكان قريب، كائن يشبه السحلية ولكنه ضخم للغاية، يقترب مني، هل قام بإيذاء ريم، لا، أنت لم تفعل لها شيئا أيها الحقير، الهروب دائما هو وسيلتي للنجاة؛ فالوزغة التي رأيتها بمنزل ماندو جعلتني أهرب والآن أنا أمام هذا الكائن العملاق أقف كشجرة لا أكترث لموتي، لن أهرب، بل سأهجم عليه وأقتله.

الكائن يقترب مني ويفتح فمه لأرى أسنانه العديدة، وجهه يشبه وجه السلحفاة، ولكن جسمه يشبه السحلية، أمسكت بخشبة من الأرض كسرتها وفركت الخشبتين ببعض بسرعة شديدة، الكائن يقترب مني للغاية وما زالت الخشبة غير مشتعلة، تتسارع يدي في احتكاك الخشب ويقترب الكائن مني للغاية، فسقط الخشب على الأرض مشتعلا وأحرق الكائن والغابة معه، النيران تتشابك بالأشجار بسرعة شديدة، ولذلك هرولت إلى البحر وقفزت فيه.

وداعا يا ريم، إن حياتي لا تساوي شيئا بدونك، سامحيني يا ملاكي، لم أرغب أبدا أن يحدث كل ما حدث، لقد انتهت حياتك بسببي، لقد جئت بسببي إلى هنا ولم أستطع أن أحميكِ، أنا لا أستحق الحياة، ليتني أستطيع أن أعطيك عمري وأموت بدلا منك، فلماذا أعيش في هذه الحياة إذا لم تكوني فيها؟ لقد أنهيت حياتك وتسببت في انتهاء عصر قبل موعده. أعتقد أن ما فعلته سيوثر على المستقبل بطريقة أو بأخرى، لا أصدق أنني لن أراك مرة أخرى يا ريم ولكنها النهاية، يبدو أنني لن أرى أي شيء آخر في هذا الكون الشاسع.

فهناك سمكة تشبه القرش ولكن فمها مفتوح بزاوية حادة تتجه نحوي، مقدار الألم الذي سأعانيه أثناء تقطيعها لي لن يضاهي عذابي بغيابك

عنـي، مرحبـا أيهـا القـرش، أرحنـي مـن هـذه الحيـاة، كـائن عمـلاق يشـبه الزواحف لديه عيون ضفدع ورأس أخطبوط وأربعة أطراف، لونه أبيض به خطوط سوداء، ويديه كيدينا ولكنه بدون كوع ولديه رقبة طويلة جلده كجلد الزواحف ويسبح كما نسبح ولذلك أعتقد أنه دخيل على البحر وليس من الثدييات أيضاً؛ لأن الثدييات ظهرت مؤخرا، سبح تجاهي بسرعة شديدة، لم أسبح بعيدا وانتظرت أفكر في أول كائن سيفوز ويفترسني أولا، وتوقعت أن يفترسني القرش لكن الكائن العملاق اقترب مني وأمسكني بيده كما نمسك الأشياء وضعني على ظهره ثم وقف أمام القرش بعض الوقت، فسبح القرش بعيدا وسبح بي الكائن الغريب على سطح الماء فاستطعت التنفس مرة أخرى، أمسكت به جيدا دون أن أدري ماذا يريد أن يفعل بي؟ وكلما أبتعد عن المكان الذي تركتها فيه أشعر أن قلبي يتركني ويذهب إلى هناك وحيدا، يهفو حول الأماكن التي جمعتنا وكل قطرة هبطت من عينيها على مكان تنبت بداخلي حزن لن ينتهي، خرج الكائن بي من البحر وتركني علي الشاطئ ثم وقف على قدميه الخلفيتين وخلع شيئا من فوق أنفه وسار إلى الخلف حتي اختفى بين الأشجار، ما هذا الكائن ولماذا ساعدني؟ ما هو الشيء الذي يضعه على أنفه؟

سيظل لغز هذا الكائن يراودني طوال الفترة القصيرة التي سأعيشها، ليتك ما أنقذتني وما أعدتني للموت المحسوس، وضعت رأسي بين قدمي ثم شعرت بشيء ما قادم نحوي، أسمع صوت خطواته تقترب وكلما اقتربت تسارعت دقات قلبي حتي نظرت إلى الخلف نظرة أعادت لي الحياة، نظرة أذابت كل عذاب أحمله في احشائي وكل ثقل داخل قلبي، نظرة أضاءت كل دروبي وحببتني في الحياة، أنا أمتلك العالم الآن فريم تقف بالقرب مني، تنظر لي وتتأملني بعينيها التي تحتضني بهدوء.

عقلي كنسخة حاسوب بها الكثير من الأخطاء، فأنا لا أعلم كيف جاءت إلى هنا، وغير متأكد إن كانت سراب في عقلي أم لا؟ لقد احترقت معظم الغابة التي كنا بها فكيف هي هنا الآن؟ اتجهت إليها وأثناء مروري تمنيت

ألا تختفي وتكون سرابا في عقلي، اتجهت نحوي وهرولت إليها فهرولت نحوي أيضا وتشابكت ذراعينا حتى شعرت بها بداخلي في أحضاني، تحسستها، يديها، وجهها، جسدها، شفتاها. إنها حقيقية، إنها هي، بقلبها النابض بوجداني، إنها ما زالت حية تذوب في يدي وأذوب في يديها، ترتعد شفتانا على صوت أمواج البحر

- أنت حقيقي؟ أنت لسه عايش؟!
- مقدرش أموت وأسيبك.

أجمل ليالي حياتي قضيتها معها، ناسيا العالم بكل أزمنته، غير مهتم بأي خطر حولي، لا حيوانات وحشرات أو حرائق وانفجارات كونية تشغل حيزا من تفكيري؛ لأنني بجانبها أستمتع بكل هذا، وكل خطر يهددني ما هو إلا مغامرة ندخلها معا، تشعل مشاعرنا وتلهب كل شوق بيننا فتجعل كل منا جزء لا يتجزأ من الآخر.

الفصل الثالث: البيت الخشبي

تسلل نهار جديد إلى حياتي أكثر إشراقا وطمأنينة؛ لأنها مازالت بين أحضاني، يحاوطها ذراعي ولم ولن أفقدها مرة أخرى، نمت قبلة على وجهها، شعرت بها في أحلامها وابتسمت ثم اغتسلت في ماء البحر سريعا تحت ضوء الشمس التي احتضنتني على غير العادة، وابعدت عني كل الكائنات البحرية المفترسة، اجتمع حولي بعض الأسماك الصغيرة المختلفة التي قمت باصطيادها وصنعها للملاك النائم، وعندما استنشقت رائحتها استيقظت من النوم وابتسمت عيناها تحت شعرها الهائج المتموج ثم سارت باتجاهي واحتضنتني من الخلف:

- اوعي تكون هتأكلني السمكة اللي بتطير.
- لا هتاكلي أنواع تانية عندها دماغين ماتخافيش.

عندما استيقظت ريم بالأمس ذهبت لقضاء حاجتها بعيدا عن مكان نومنا؛ فهاجمها كائن عملاق أبعدها عن الطريق ولم ينقذها منه إلا الكائن الذي أنقذني بعد حريق الغابة، وأحضرها إلى هذا المكان، غريب أمر هذا الكائن، ولو أنه كائن بحري لاعتقدت أنه من عائلة الدلافين.

منذ أن جئنا إلى هنا لم نأكل سوى أوراق شجر منقرض، والآن سنأكل أسماك منقرضة لا نعرف شيئا عنها، أمسكت سارة سمكة منهم خلعت رأسها ونزعت الشوك من داخلها استعدادا لأكلها، أوقفت يدي يداها، تسللت إلى السمكة وانتزعتها منها، ثم أمسكت باقي السمك أيضا وألقيتهم في البحر أثناء خروج عيون سارة من رأسها لعدم فهمها شيء.

- ورق الشجر آمن أكتر يا ريم لأن فيه سمك بيبقى سام وأنا معنديش استعداد أخسر الزرافة اللي عرفتها.

ابتسمت ريم:

- ولا أنا عايزة أخسر الأوكابي الوحيد اللي عرفته، وكمان ماينفعش ناكل حيوانات تاني لو عايزين مانتاكلش، احنا مش في غابة.
- امال احنا فين؟

قررنا أن نبتعد عن هذا المكان قليلا لأن هناك كائنات ستأتي لتأكل السمك الذي ألقيته في البحر، وبعد ٥ دقائق من السير صعقت عينانا مما رأينا فمن الممكن تصديق أي شيء، فيما عدا أنه يوجد بيت خشبي في العصر الكربوني:

- أنت شايف اللي أنا شايفاه.

أقل ردة فعل للصدمة المرسومة على ملامحي هي الصمت والانجذاب نحو هذا الشيء الغريب، اقتربنا من البيت الذي لم يكن مغلقا إلا بعد أن دخلنا، تشابكت أصابعي مع أصابع ريم، وقررنا أن نكتشف هذا العالم الجديد، الغرفة كالقبر لا شيء فيها ولكن هناك باب آخر مفتوح أيضا:

- خايفة؟ تحبي نرجع؟

سؤالي لم يكن إلا أمنية للعودة، ولكن بعد أن تأكدنا من عدم قدرتنا على فتح الباب المغلق خلفنا أصبح استمرارنا حتمي، اشتد تشابك أصابعنا ثم خرجنا من الباب الآخر، وتم إغلاقه خلفنا كما لو أنه مخصص لأجلنا، فوجدنا أنفسنا في مكان على البحر:

- فاهم حاجة؟
- كنا نقدر نيجي هنا من جنب البيت عادي وماكنش لازم ندخل من جوه.
- بص كده.

تيتو وسارة يجلسون أمام البحر يتحدثون وبعد عدة أمتار يجلس وليد وحيدا يكتب وقريبا منه يجلس السكير ثم شاكر بعدهم يجلس وحيدا أيضا.

عادت الروح إلى أجسادنا، هرولت ريم تجاههم، وسعادتي لأجل سعادتها تفوق سعادتي لنفسي.

- سارة.

نظرت سارة إلي ريم ثم نظرت لي:

- Welcome back ya baby

كنت قلقانه عليكِ جامد موت.

احتضنت سارة ريم واحتضنني تيتو:

- حبيبي، كنت حاسس بالذنب إني أقنعتك تيجي.
- أحسن حاجة عملتها إني سمعت كلامك.

نظرت ريم بجانب عينيها لعيني مبتسمة فغمزت لها، لاحظ تيتو وسارة الأمر فاقتربت سارة مني واحتضنتني لأول مرة في حياتها:

- كنت خايفة عليك جدا يا روحي وعيطت كتير اووووي.

لم تخبرني سارة أنها تحمل لي أي مشاعر من قبل، ودائما كانت تتهرب من تلميحاتي لها، والآن. تقول ذلك أمام عيون ريم الواسعة الحزينة التي فرت هاربة بعد هذا المشهد الأليم، أبعدت يد سارة عن خصري وتحدثت بصوت جاف:

- شكرا.

اتجهت خلف ريم وأنا أنادي أثناء سيري:

- ريم، يا ريم استني.

حاول وليد إيقافها:

- ريم، أتمنى تكوني بخير.

لم ترد ريم واستمرت في الركض فلاحظني وليد واتجه نحوي:

- صديقي العزيز كيمو.

أوقفني وليد والسعادة ترتسم على وجهه لعودتي:

- حبيبي يا وليد هجيلك تاني.

نظرت من مكاني على ريم فوجدتها تحتضن شاكر بشدة، دموعها تسيل على كتفه ودموعه تبلل خدها الرقيق الذي دائما أحببت نقاءه. نظر وليد إليهم وفهم كل شيء من عيني.

- انتو كنتوا مع بعض؟

جلست بجانب وليد بعد أن شعرت بسهم في منتصف قلبي يجعلني غير قادر على التحرك:

- الوقت يمتلك الموت ياعزيزي.

نظرت إلى وليد محاولا أن أفهم ما يشير إليه. الوقت يمتلك الموت، موت الأشياء حولك أم موت المشاعر؟ موت الحياة أم موت الأشخاص؟

- ولكن يا وليد أحيانا قد لا نحتاج للوقت حتى تموت المشاعر ونقوم نحن بقتلها.
- إذا قتلناها سنحمل مشاعر أخرى أشد عمقا وقسوة حتى الوقت نفسه لا يستطيع أن يمحيها.
- معلش يا وليد ممكن تسيبني لوحدي دلوقتي.

تقدم شاكر بخطوات ثابتة تجاهي ولمحه شفاط وسار خلفه فتصنعت بأنني لا أراهم:

- كيمو.

نظرت بعين تخلو من المشاعر ووجه لا يوحي بشيء:

- بغض النظر عن أي حاجة، شكرا إنك خليت بالك من ريم ورجعتها بأمان.
- ريم زي أختي وكان لازم أحافظ عليها.
- بس هي مش أختك وهي دلوقتي معايا، تمام فأنا اللي هخلي بالي منها.
- بس هي مش عيل صغير وأعتقد هي اللي تقدر تخلي بالها منك ومننا كلنا.

حرك شاكر شاربه محافظا على هدوئه ولباقته:

- أنا حبيت بس أفهمك وأتمنى تكون الرسالة وصلت.

من المؤسف أن سعيد لم ينهي حياة شاكر في المرة الأولى لأنه ترك لي مسئولية وقوع ذلك الآن. تحدث شفاط:

- مفيش حيوانات متوحشة عتيجي هنا، لو عايز تنام شوية نام.
- شكرا يا شفاط، نمت كويس امبارح.

لماذا لا يوجد حيوانات تأتي إلى هنا؟ وكيف اجتمع الجميع؟ وأين الثلاثة الباقون؟ تساؤلات عديدة تراودني ولكن ألم قلبي يطغو على تساؤل عقلي ولذلك أبتسم وحسب. اتجه تيتو نحوي ولكن وليد تحرك من جانبي إليه:

- سيبوا كيمو يرتاح شوية علشان لسه جاي وبعد كده نقعد معاه.

تمددت على الأرض ناظرا إلى السماء التي أصبحت قاسية للغاية، كما السماء في عالمنا؛ فالأرض تتبدل وتتغير وتظل السماء واحدة، مدارات وغازات وكواكب تعلو تحاوط كوكب من الظلم، خلعت قطعة القماش المربوطة على يدي وتركتها للهواء يأخذها بعيدا، لقد استغلتني ريم وجعلتني مرحلة مؤقتة في حياتها حتى تصل إلى حبيبها المنتظر شاكر، لماذا الإنسان ينجذب إلى كل من يؤذيه ويترك من يحبه بصدق؟

أعتقد أن الشخص الذي يعشقك هو شخص مضمون سهل الوصول إليه ليس له قيمة، والشخص الذي يعاملك بجفاء يصبح هو الذي يستحقك لأنك تبذل مجهود كبير لتعلقه بك؛ فهو غير مضمون وجوده. إنني هذا الشخص السهل المخدوع، كل لحظة جميلة قضيتها معها كانت ملوثة بالخداع والقبلات التي تنفستها شفتانا لم تكن إلا سموم تسقي بها فمي.

لقد كانت تتغذى على عذابي واهتمامي بها، أعتقد الآن أنها اختفت بإرادتها حين استيقظت ولم أجدها لتراقبني أبكي وتسمعني أتوسل باسمها، أعتقد أن شاكر أيضا لعبة في يديها لأنها خائنة له ولكنني لن أخبره بما حدث بيننا، لن أصبح هذا الشخص السيء، حتى وإن أجبرني الجميع على ذلك، ليتني لم أجدها حتى وإن كان إنقاذ حياة إنسان أهم من مشاعري فهي لم تفعل كما فعلت، لقد قتلت شخصا أراد أن يموت لأجلها، ربما هذا خطئي فأنا لم أخبرها أنني من أنقذها، قتل المشاعر أسوأ من قتل إنسان لأن المشاعر لا تموت وإنما تقتلنا ونحن أحياء، قضيت الكثير من الوقت وحدي، مشوش ذهنيا، يجلس أصدقائي بجواري ويحادثوني دون أن أسمعهم فيذهبون إلى أن غابت الشمس يائسة وظهر القمر حزينا، فتقدم تيتو مني وجلس بجواري:

- لسه مش عايز تتكلم مع حد، مازهقتش من القعدة لوحدك؟

نظرت لتيتو وابتسمت ابتسامة مصطنعة فاستكمل كلامه:

- طب ماجعتش طيب؟

- حبيبي يا صديقي، لما أجوع عارف طريقي.

نظرت إلى شجرة خلفي:

- لا أنا هفاجئك.

نادى تيتو على شفاط فحضر الأخير:

- أيوة يا صاحبي.

- لسه معاك أكل؟
- آخر علبة.
- هاتها لكيمو.
- علبة ايه؟

أحضر شفاط علبة كشري لي بدون صلصة لعدم الحموضة، لابد أن أعترف أن رؤيتي لهذه العلبة أخرجتني من الحزن للحظات، فلقد سئمت بطني أوراق الشجر:

- أنت جايب معاك كشري؟ أنت برنس.
- المعلم كان مرتبه كشري وبيرة بس في المحل اللي كان فيه.
- والمحل كان بيكسب ازاي كده؟!
- البيرة دي كانت واجهة لحاجات غير مشروعة كتير متدارية بس المعلم ده غلبان كان مضحوك عليه.

أمسكت العلبة باحتضان وكأنما أمسك الكون في يدي، سأضعها في بطني كاملة، تسللت عيني إلى ريم فرأيتها تأكل أوراق الشجر:

- خد يا شفاط العلبة دي ادهالها وماتقولهاش إنك كنت جايبهالي.
- أديها لمين؟

أشرت بإصبعي نحوها فذهب إليها وأعطاها لها، تبدلت ملامحها حين رأتها والتهمتها كأنها الوجبة الأخيرة التي ستأكلها في حياتها، وبرغم الثقوب التي صنعتها بداخلي كان هناك شيئا يجعلني سعيدا لأجلها، ويشعرني أنني أزداد شبعا مع كل مرة يستقبل فيها فمها للطعام.

- أنت مش كيمو يا كيمو، احكيلي اللي حصل معاك يا فنان.

- هو انتو مش خايفين وكل اللي هاممكم مشاعري ليه؟! احكيلي أنت الأول، اتجمعتوا ازاي وفين باقي العيال وعملتوا البيت ده ازاي؟
- لإن هنا في أمان علشان كده متطمنين وكمان احنا معملناش بيوت.

عقلي لم يستوعب الكلمة واستكمل تيتو حديثه:

- احنا مانزلناش مع بعض بس فيه كائن أبيض ضخم هو اللي جابنا هنا من أول يوم جينا فيه، وبالنسبة لحسن وماندو وسعيد، أكيد الكائن بيدور عليهم وهيجيبهم لو لسه عايشين، هو اللي جابك صح؟
- حاجة غريبة جدا!

نظرت إلى ريم فوجدتها تجلس بجانب شاكر، تضع رأسها على كتفه مثلما كانت تفعل معي، فثار الدم بجسدي غضبا

شعري يشتعل، وجهي يشتعل، عقلي يشتعل، لن أسمح لأحد أن يخدعني حتى وإن كنت أحبه بشدة، نظرت إلى سارة فوجدتها تجلس بالقرب من ريم وشاكر فذهبت إليها:

- وحشاني يا حياتي.

رفعت سارة حاجبها متعجبة من كلامي:

- حياتك؟ how come يا مان، أنت قاعد لوحدك من ساعة ما جيت.

ريم تراقب الحوار و شاكر ينظر لي بغضب دون أن أفهم السبب:

- أنتِ عارفه أنتِ ايه بالنسبالي، ولو معترفتلكيش قبل كده يبقى ده بسبب خجلي مش أكتر.

- أنت متعرفش أنا حاسة بايه دلوقتي، أنا مبسوطة جامد موت.

ما من شيء يجعل أي شخص ينجذب إلى سارة، فكيف كنت ساذج إلى هذه الدرجة؟!

- مبسوطة جامد موت؟
- أه خالص خالص.

اللعنة على سارة!

- وأنا كمان.

عزمت ريم على الرحيل من المكان فحادثها شاكر:

- ايه رايحة فين؟
- هتمشى شوية.

بعض الأشخاص أنانيون، يريدون أن يحصلوا على كل شيء، حب شخص، واهتمام شخص آخر لكي يشعروا بأنهم مرغوب فيهم، والجميع يحبهم وإذا شعروا أنهم خسروا شخص قد رفضوه يصابهم الجنون والحزن؛ لأن هذا يطعن ثقتهم بأنفسهم، هؤلاء الأشخاص يحتاجون إلى مصحة نفسية لا يخرجون منها حتى لا يمتصوا رحيق القلوب الطيبة التي تفتقد العاطفة فتقبلها بصورة وهمية.

انتهى غزلي مع سارة بابتعاد ريم وتحول الكلام العاطفي المصطنع بيننا إلى حديث عن الريجيم، وكيف يمكن أن تساعد أو تضر أوراق الشجر سعراتنا الحرارية، أصبحت تتحدث وأنا أسمع بأذني فقط، ولكن عقلي يتطاير يمينا ويسارا مع امرأة أخرى، يشتاق حينا، ينهار حينا، يتمنى أن يحتضنها، يتمني أن ينتقم منها، يتساءل بكل لغات العالم: لماذا هو وليس أنا؟ لماذا فعلت كل هذا بي وأين هي الآن؟

انتهى حديث طويل ممل مع سارة ولم تعُد ريم بعد، الشخص الذي ينزف عشقا كاذبا يعشق الكذب، حاولت أن أسير وحيدا أختلس النظرات للبحث عنها، وما كان انضمام وليد لي إلا شيئا يعرقل نظراتي فهو يعلم كل شيء:

- مش عاجبني يا صديقي.
- مالك يا وليد؟
- مش عايزك تعلق قلب بيك علشان تعاقب قلب تاني او تثبتله قوتك.

توقفت عن السير ولم أنظر إليه:

- مش فاهمك!
- فاهمني كويس، الجرح اللي أنت حاسس بيه دلوقتي ده أكيد ماترضاش أن حد غيرك يحس بيه.

لا تمتلك سارة أي مشاعر تجاهي ولن تمتلك أو تتألم يوما ما ومع ذلك هو على حق. استكمل وليد كلامه:

- لقد كان لدي صديق متأثر بشدة بقصة شهريار، ولكن من الناحية الأخرى فهو يقتل أحباءه؛ لكي يحتفظ بهم في قلبه قبل أن يقوموا بخيانته وليس انتقاما منهم، وعندما أحب بشدة واستذاق الحب فعلا. قرر أن يقتل نفسه ليجعل حبيبته تحتفظ بحبه إلى النهاية فلم يقتلها بل قتل نفسه أمامها وهنا أدرك الحب الحقيقي.
- أنت بتنخع يا وليد، أنت من امتى بتصاحب سفاحين وكمان إيه علاقة ده بموضوعي، الأخيرة اللي قتل نفسه علشان يحتفظ بحبها قتل نفسه من غير ما تخونه أو على الأقل يكتشف ده وكمان إيه علاقة سارة بالحوار، فين دورها اللي خلاك تحكي القصة دي أصلا؟!

نظر وليد للأرض خجلا بعدما اكتشف أن قصته التي اختلقها لا تتناسب مع قصتي.

تجلس ريم على غصن شجرة قريبة لا تسمعنا ولكن إذا اقتربنا أكثر سوف تسمعنا، تحركت تجاه الشجرة دون أن تلاحظ رؤيتي لها بعدما صدمت رأسي بأشجار أخرى غضبا:

- أنا بحب سارة فعلا يا صديقي، هي كل حاجة في حياتي أما ريم ممكن تعتبرني كنت بتسلى معاها ما أنت عارفني بتاع بنات ولقيت واحدة قدامي، أي نعم محدش يطيقها بس كنت مجبر عليها لإن مفيش غيرها. وانتهى دورها أول ما شفت حبيبتي سارة وروحي رجعت ليا تاني، تخيل لو أنت مكنتش جيت المكان ده من أول يوم وكنت عانيت زيي ولقيت أي واحدة قدامك، كنت هتهتم بيها علشان ماتبقاش لوحدك، صح ولا غلط؟

نظر وليد إلى الشجرة فلاحظ ريم:

- أنت ازاي بقيت كده؟ أنا فعلا ماعرفكش.

لم أكن أبدا هكذا ولم أتوقع أن أصبح بهذه الهيئة البشعة؛ فنيران الغيرة قد أظلمت عيني وحولتني إلى شخص آخر. تركني وليد وذهب بسبب كلماتي التي تعادل رصاص يجتاح جسدي قبل أن يصيب شخصا آخر، وبكاء مكتوم خارج عن السيطرة أجبر عيني على النظر إليها مما أدى إلى عودتي هاربا، وأثناء رجوعي لاحظت الكائن الأبيض الضخم يجلس فوق شجرة مرتفعة للغاية وينظر لي.

تتغير ملامحنا، تتغير مشاعرنا، حتى أرواحنا تتبدل أحيانا ونصبح أشخاصا آخرين، ولكن أن يمتلأ قلب طاهر بكل هذه القسوة هذا ما لم أكن أتوقعه أبدا، اتجهت نحو سارة وشاكر فوجدتهم يتحدثون ويدخل من الباب الخشبي كائنا أبيض يشبه الكائن الذي أنقذنا ويطير إلى الشجرة باتجاه الأخير، فيطير الأخير ويخرج من الباب الخشبي.

- هو كده رايح فين؟

أجاب تيتو:

- أكيد لقى حد تاني ورايح يجيبه.
- طب والتاني ماجبهوش ليه؟
- ايه؟

تدخل وليد:

- كيمو ابتدى يخرف سيبه.

تدخل تيتو:

- لا ماتقولش عليه كده، هو عايز صيانة وهيبقى زي الفل.

اندماج سارة وشاكر بالحديث يجعلني حائرا قليلا، جلوس ريم وحيدة يجعلني قلقا كثيرا، تمتد الدقائق ساعات تمزقني كل ثانية فيها، لقد أغمرني شعور السعادة عندما كنت محفوف بالمخاطر والآن أجلس في مكان لا خطر فيه بين أصدقائي، أنتظر العودة القريبة ولكن الألم يهلكني، عاد الكائن الأبيض وجلس بجوار ابنته وقبل أن يمر الكثير من الوقت وجدنا حسن يدخل من الباب الخشبي ويكاد أن يصبح زاحفا، هرول وليد تجاهه، تابعه تيتو وشفاط ثم قاموا بنقله بجوارهم، تابعت المشهد بصدمة حقيقية متخيلا العذاب القاسي الذي مر به، من الواضح أنه عانى كثيرا حتى وصل إلى هذه الحالة التي لا يرثى لها، ذهب شاكر إليه وبعده سارة ثم تحدث الأول:

- حد ينادي ريم.

لا يوجد غيري وحيدا والجميع حول حسن، ذهبت إلى الشجرة، لم أجدها فوقها، نظرت إلى الأسفل فوجدتها ملقاة على الأرض والدماء تسيل من شريانها، مات بداخلي كل شيء، وانسحبت روحي، شعرت بها تغادرني وشعرت بالدم يسيل من شرياني فأمسكتها وبكيت:

- ريم.. ريم .. ردي عليا .. ردي عليا يا ريم.

لا يوجد أي ردة فعل لتحريكي لها أو بكائي.

- مش هسيبك تمشي، مش هسيبك يا ريم، سامحيني لو جرحتك، ماكنتش قادر، كنت بتعذب يا ريم، مكنتش متخيل إنك مش بتحبيني، بس مش مهم، مش مهم تحبيني يا ريم علشان أنا هفضل أحبك في جميع الأحوال وعمري ما هكرهك أبدا، قولي أي حاجة يا ريم، احكيلي، احكيلي عن الأكلة اللي بتحبيها، احكيلي عن أكتر لحن بتحبي تلعبيه على البيانو، قولي أي حاجة يا ريم، قولي حاجة ماتسكتيش، ماتسكتيش يا حبيبتي أرجوكِ.

حملت ريم على ذراعي والدموع تتساقط فوقها ثم اتجهت إلى البحر، شاهدني شاكر وهو يبحث عنها:

- مالها فيه ايه؟ شايلها كده ليه؟

نظر شاكر إلى ذراعها وتحدث بحزن شديد:

- حبيبتي، ايه اللي حصل؟ مين اللي عمل فيها كده؟

أخذها شاكر من يدي، حدثته ودموعي تملأ البحر:

- حط وشها في الميه.

أمسك شاكر نبضها ووضع رأسه على صدرها:

- الحمد لله.

أنا وردة ذبلت ثم أحيت من جديد. وضع شاكر رأسها في الماء فانتفضت، وقفت بعيدا أراقب عودتها للحياة وقلبي يتراقص من السعادة، فتحت عينيها فوجدته يحملها في الماء:

- الحمد لله، اوعي تعملي كده تاني يا جزمة.

احتضنها شاكر بشدة فتأكدت من حبه الحقيقي لها، أزلت السهم من جسدي وذهبت مبتسما.

لقد نسيت أمر حسن بسبب كل ما حدث، من المؤكد أنه يعتبرني صديقا سيئا، أو أنا هكذا فعلا، تحدثت معه قليلا لتعبه الشديد ولكن التساؤل الذي أثار حيرتي أنني وجدته مربوطا بقماش في قدمه بعد أن تركته ولا أحد منا يستطيع أن يسعف أي شخص، نظرت إلى سارة وسألتها:

- هو مين اللي ربطه كده؟
- شاكر، ماهو دكتور زي أخته، أبوهم كان عايزهم يبقوا دكاترة وحققوله اللي هو عايزه.

ابتلعت لعابي وغاب الدم عن وجهي:

- أخته مين؟!
- Hey man

أخته ريم، صباح الخير.

سقطت عيني من وجهي واختفيت عن الأنظار.

الفصل الرابع: الفلامديو

أدرك الليل مخالب فمي الطويلة المتوارية خلف أضواء العشق، مخالب تظاهرت بالخضوع حتى تمتلك ما تريد، فتستطيع أن تنخر فرائسها دون رحمة ودون أن تعتقد بأنها تفتك بهم، بل تظن بأنها الغزال المسكين الذي يهاجم صائده كي يهرب من طعناته.

ما كان الليل عذابي بل كنت عذابه ولا أشعر، فهو من أنار الروح بداخلي، جعل القمر يرتسم أمام غصن الشجرة التي جلسنا فوقها وجعل أصوات الرياح تلحن قصتنا لتقطرنا عشقا صافيا يغذي قلوبنا الخاوية؛ ولكني عاديت هذا العشق فأصبح الليل حزينا باهتا وصرت ملعونا في كل دروب الهوى، شعرت بسهم اخترق جسدي، وظننت أن أحدهما أصابني حتى علمت أنني الصائد وهذه الطعنة ما هي إلا أحد طعنات أسهمي الذي غرزته بداخلي كي أستطيع الانتقام، وبرغم حزن الليل وسواده العميق فإن ظلماته مهما اشتدت لن تعادل أبدا الظلام بأعماقي فأنا مجرم حب وهذا عقابي الذي لن أطلب المغفرة تجاهه، فالقاتل لم يسامح نفسه بعد فكيف سيسامحه القتيل؟ وهل تزدهر الوردة مرة أخرى بعد أن تم قطفها إذا قمنا بريها؟

- كيمو.. أنت معانا؟

لقد أنقذني تيتو من محاكمة عادلة لا تنتهي، الحكم فيها هو تمزيق روحي ودفنها في غياهب الأرض.

- كفاية همبكة وركزوا معايا.

يهبط الصوت من فوق غصن شجرة قصيرة سميكة، ونسمعه بوضوح تام، إنه صوت الكائن الأبيض، هل أصبحت الهلاوس هي عقابي؟ كيف يمكن أن يحدث ذلك؟!

- الأول أعرفكم بنفسي أنا حيوان الفلامديو ومش مهم تعرفوا اسمي الشخصي علشان مش هتعرفوا تنطقوه.. طبعا انتو مستغربين إني بتكلم لغتكم لإن عقلكم اللي فرحانين بيه مقدرش يعلمكم لغة الحيوانات اللي عايشة معاكم أو كل لغات بعضكم حتى.

استيقظ يا عقلي أو اختار هلاوس أكثر منطقية ولكن لا تستهزئ بي إلى هذا الحد.

- عارف إن مخكم بقى زبادي خلاط.

زبادي خلاط؟!

- وإن الدنيا بقيت أصعب لما حاولت أوضح لكم بس لو عايزين تفهموا ماتفكروش كتير لإن الثلج لو ساح مش هيتجمد بنفس الشكل وانتو مخكم لو فكر هيسيح ويبقى شوربة تطبخوا فيه مش تفهموا منه.

أعتقد أن فلامديو من شبرا.

- اتعلمت لغتكم وعرفت معلومات عنكم ازاي؟ ده سؤال صايص متوقع أي بشري منكم يسأله. كان فيه مجموعة كتيانة قبلكم جت بنفس الطريقة وقعدوا معايا ٣ سنين خنقوني بس اتعلمت منهم حاجات في مقابل الأمان اللي شبرقتهم بيه ولما انتو جيتوا افتكرت اللغة في الكام يوم دول وزودتها بكلمات جديدة.

هل يمكن لكائن أن يفهم لغة كائن آخر؟!

- متوقع بتفكروا في إيه وردي عليكم أه ممكن كائن يفهم لغة كائن تاني زي ما بتعملوا وبتقدروا تفهموا إشارات وحركات كل كائن،

بس للأسف مابتفهموش أي أفشخنات لغوية، على عكسي، لإني بتواصل مع الحيوانات بطرق تانية غير طريقتكم محتاجة قدرات خاصة مش عندكم للأسف.

حسن لن يستطيع السكوت على هذه المهزلة:

- وأنت عندك يعني جسم كل كائن علشان تقدر تعمل إيماءاته الجسدية ويفهمك؟

قذف حسن صخرة في رأس الكائن ستوقفه عن الرد:

- وهو أنا ذكائي سفسوف زيكم علشان أعتمد على كده.

ارتدت الصخرة في رأس حسن بطريقة عكسية ولكنه لم يستسلم:

- لا يا بابا الإنسان أذذكى كائن والأرض اتعملت علشانه.
- ممكن تكون أذكى كائن في الوقت اللي أنت جيت منه، لكن مش أذكى كائن عموما. وازاي الأرض اتعملت علشانك وأنت أقل واحد عاش فيها؟

الحجر أصبح هرما كاملا يتساقط فوق رأس حسن فابتلع لسانه. تدخل شاكر:

- يعني أنت بتتكلم مع كل الحيوانات والحشرات والأسماك اللي عايشة هنا؟
- وده اللي مخليني عايش في سلام، وبالنسبة لبعض الحيوانات اللي انتو بتدربوهم على أي همبكة شمبكة ده مايعتبرش إنكم اتعلمتوا لغتهم، لإن أنتو عارفين حاجات قليلة أوي من ردود أفعالهم، ممكن بقى ماتقاطعونيش إلا لما أخلص، سؤال وجيه من شخص أحمق عايز يسأله وهو ليه اتعلمت لغتكم وليه جبتكم هنا؟

رد تيتو:

- أه ليه بقى؟ ليه؟
- طقطقوا ودانكم معايا.
- عو أنت خدت دروس عربي في الجامعة؟!
- اركن على جنب يا شفاط دلوقتي.

لماذا شفاط اسمه شفاط هل لإنه يشفط البيرة طوال اليوم؟

- البشر اللي جم قبلكم عرفوني حاجات كتير، ومنها الكهرباء فقدرت إني أعمل الباب الخشبي اللي هناك حواليه كهرباء من كل حته علشان اللي يفكر يدخل يتلسوع ويبقى عبرة لكل خائن للعهد.

ريم تتابع الحوار بعيون حمراء يحاوطها السواد، تسرقني النظرات إليها ما بين كل جملة وأخرى يتفوهها الفلامديو:

- والباب ده مش بيفتح إلا بإذني بس، وده وسيلة الدخول الوحيدة فمش هتلاقوا هنا إلا شوية حشرات صغنططة مسالمة سايبهم علشان أتونس بالرغي معاهم بس للأسف غباؤهم معدي كل الحدود. أما الكائنات البحرية فأنا متفق معاهم مايدخلوش المنطقة دي من البحر في مقابل إني ببعتلهم معظم الكائنات الميتة ياكلوها ولو حاولوا يخونوا فدخول المنطقة دي خطر جدا عليهم ومش هيستفيدوا حاجة.
- عيستفيدوا إيه هما بقى؟
- عرفت بقى بقول على ذكائكم محدود ليه، دي الحشرات اللي هنا أذكى من كده.

تدخل وليد:

- لا تتخذ من كلام شفاط حجة فهو يدمر عقله بيده، ولا تهمش الآخر لتنتصر لوجهة نظرك فهذا يدل على ضعف أسانيدك.

أعتقد أن فلامديو سيقتل الكائن وليد بعد هذا الكلام:

- محتاج وقت علشان أفهم لغتك، حاول تبقى رغاي الفترة اللي جاية.

يبدو على ريم الإرهاق والحزن الشديد وهذا يقتلني. تحدث تيتو:

- طب أنت اتكلمت عن خيانة عقد، عقد ايه ده بقى؟
- أنا قلت عهد مش عقد وقلت محدش يقاطعني، ماتخلوش مخي يطلع شياط.

هل عقلي تلاشى وأصبح مادة تنكمش بالحرارة وتتمدد بالبرودة؟ استيعاب حدوث هذه الأشياء لا يختلف عن عدم استيعابها، في الحالتين سأصبح بلا عقل. أراد حسن أن ينتقم من الفلامديو:

- دلوقتي أنت بتقول إنك أذكى واحد في الزمن ده، وإنك أذكى مننا كبشر كمان، تقدر تقولي هتنقرض ليه وهينفعك بإيه كل اللي بتعمله؟
- هنقرض امتى؟
- لو هتنقرض في نهاية العصر ده يبقى هتنقرض بعد مليون سنة.
- تتوقع أنت كإنسان هتنقرض بعد كام سنة؟

نظر حسن بالأرض وتحدث شاكر:

- لو كملنا ١٠٠٠ سنة نبقى خارقين.
- بقالكم كام سنة مبرطعين على الأرض.

لم يرد أحد فاضطر حسن أن يرد:

- الإنسان الحديث مكملش ٤٠ ألف سنة.
- وعايزني أزعل إني احتمال انقرض بعد مليون سنة وأنا عايش من ملايين السنين، المشكلة انتو فاكرين نفسكم عباقرة بس مخكم سلطة أصلا.

قاطعت كائن الفلامديو بعجرفة:

- احنا اخترعنا آلة زمن ورجعنا زمن تاني ماعيشناش فيه قبل كده وطلعنا كواكب تانية مفيش كائنات عاشت عليها، القمر اللي بيطلع كل يوم ده احنا طلعناه، أنت بقى عملت إيه في حياتك؟

هبط الفلامديو من على الشجرة:

- دي مشكلتكم، بتضيعوا مجهودكم في حاجات مش هتفيدكم، بتصنعوا حاجات تساعدكم بدل ما تصنعوا نفسكم وكمان بالعلم اللي بتستخدموه علشان توصلوا لحاجات معينة بتضروا الكوكب والبيئة وبتؤذوا نفسكم وعلشان كده مش هتعيشوا كتير وهتنقرضوا بدون أي كوارث طبيعية.

تحدثت سارة:

- بص أنت كيوت أوي و I wish إن أنت تطلع طيب بس إحنا نضمن منين إنك مش هتاكلنا؟
- مفيش ضمان لو عايزة تطلعي تتاكلي بره أطلعك عادي.

تدخل شاكر:

- فهمت I wish ازاي وأنت مش بتتكلم انجليزي؟
- سياقها في الجملة، امال أنا بتعلم اللغات بسرعة ازاي.

تحدثت ريم بعيون تتألم وإرهاق شديد:

- أنت ممكن تساعدنا نرجع؟
- مهمتي أحميكم لغاية ما ترجعوا.. رجوعكم ده مسئوليتكم انتو يا قطاقيط.. انتو ناقصين الشخص اللي معاه الجهاز صح؟

تحدث وليد:

- ناقص اتنين، سعيد كمان مش هنا.
- لو عايشين هجيبهم ولو ميتين هجيب جهاز الرجوع من اللي اتكل.
- فل عليك يا فلامنكو يا كبير.

أعتقد أن فلامديو محق فوجود شفاط يثبت أن الإنسان كائن بطيخة. تدخل حسن:

- وهتستفيد إيه لما تساعدنا؟
- أي خدمة هقدمهالك هتعلمني قصادها حاجة، قدم السبت هتلاقي التلات ولو مامعكش ماتقولش هات.

الفلامديو الصغير جلس بجوار والده وتحدث معه بدون صوت فاستكمل الفلامديو الكبير:

- كفاية على نفوخكم النهاردة علشان مايسيحش، وهنبتدي شغل بكرة، اصحوا بدري وبلاش كسل زي كل يوم.

خرج الفلامديو من الباب الخشبي وطار بعيدا فتحدثت مع الصغير:

- أنت بتتكلم لغتنا برضه صح؟ هو لقى حد وراح يجيبه؟

لم يجب الصغير وصعد أعلى الشجرة، نظرت إلى ريم فلم أجدها ووجدت شاكر فقط فذهبت إليه:

- هي فين ريم؟

نظر شاكر من شاربه:

- أنت دماغك تعبانة؟ لو حاولت تكلمها تاني هقتلك، مفهوم؟

ابتلعت لعابي وأبعدت عيني عن شاربه:

- ليه كده؟
- حاول تكلمها وأنت تعرف.
- أصل أنا كنت عايز أقول لها إن...
- أنت بتفهم لغتنا ولا هحتاج أتعلم زي فلامديو لغة الحيوانات؟!

ابتلعت لعابي مرة أخري وشعرت أنني أفقدها بهذه الطريقة فأنحيت رأسي متوسلا إليه رغم كرهي له:

- أرجوك قولها تسامحني .. أنا كنت غيران عليها منك معرفش إنك اخوها.

ضحك شاكر باستهزاء شديد:

- حلو كلامك أوي.. عظيم عظيم.. بص يا... اسمك ايه.. كيمو أه.. بص يا عم كيمو ألاعيب جديدة مش هسمحلك وكفاية اللي حصلها بسببك، لو فكرت تخترع أي قصص علشان تكلمها وتغيظ سارة بيها تاني علشان ترجع تهتم بيك بدل ما هي مهتمة بكل الناس وسايباك كده فأنا اللي هقتلك، سمعت؟
- بس أنا مابحبش....

حك شاربه بيده فتوقعت أن تسقط حشرات منه:

- تفتكر فيه قانون لينا هنا في العصر، يعني لو حد قتل حد هنا هيتحاكم؟ أنا لو منك أخاف وأغور من هنا دلوقتي.

دفعني شاكر بيده بعيدا دون أي مقاومة مني فصدمت رأسي بشجرة عدة مرات، ثم جلست فوق غصنها أبكي كطفل صغير يبحث عن والدته التي

توفيت، وبرغم كل الأكسجين في المكان إلا أنني اختنق من كل شيء، ليت الحيوانات بالخارج أنهت حياتي قبل أن أجرح مشاعر هذا الطائر الجميل الذي دمرته بكل عنف، الشعور بالعجز في إعادة الأمر إلى السابق يدمرني، فالعجز هو عدم القدرة على التعبير عن مشاعرك والتظاهر بعكس ما بداخلك جبرا، العجز هو أن ترى حبيبك غير قادرا على السباحة ولا تحاول إنقاذه حتى لا يغرق، العجز هو أن لا تستطيع أن تعيش مجروح أو تموت جاني.

تركت مكاني فوق الشجرة وذهبت إلى وليد، الذي كان يكتب وحيدا أمام البحر وأخذت منه قلما وورقة، ثم عدت إلى مكاني أنظر إلى ريم ما بين أوراق السرخس الخضراء وأكتب:

" لمسات القدر صنعت من حبي عذابا، عذاب لروحك الحزينة التي انتعشت بالحياة قبل أن تراني، كم أشتاق أن أتحسس شعرك وأتنفسه بعمق، كم أشتاق أن أحتضنك وأشعر بنبضاتك تنبض بداخلي، كم أشتاق أن تتحول دموعك الحزينة إلى قطرات عشق مفعم بالحياة، قبل أن أراكِ أحببت كثيرا ولكن بعد أن رأيتك علمت أن الحب شيئا آخر لم أكن أعرفه، وبرغم أنني أفتقد المكان والزمان الآن، إلا أنكِ وطني وزماني وكل حماقة تفوهت بها كي أجرحك ما كانت إلا محاولة شخص بائس خسر حياته في استعادة يوما آخر منها، لا أطلب الغفران أو أن يرتاح قلبي ولكن أطلب فقط أن تكوني سعيدة ولا يهم عذابي بعد ذلك"

اتجهت إلى ريم فقطع شاكر طريقي:

- مش قولتلك ماتقربش منها.

لم أنظر إليه وناديت بصوت عال:

- ريم..

تلقيت صفعة على وجهي رددتها إليه في حينها واتجهت نحو ريم، انقض فوقي فأسقطني أرضا، سقطت الورقة من يدي وسرقها البحر بعيدا فانهارت روحي وأطفئت عيني ثم تحول ضعفي إلى شراسة كادت أن تنهي بحياة شاكر حتى سمعت صرخات ريم وهو ينهار بين يدي، ابتعدت فجأة دون أن أفهم ما حدث، دفعني الجميع بعيدا وما كنت أراه هو نظرات ريم إلى أخيها ثم إلى عيني الواجمة، نظرات تحرقني، تشعل دمائي الساكنة وصراخها يجعلني أشعر بأنني شيطان، ماذا حدث؟! ماذا فعلت؟!

ضوضاء الجميع حولي وصخبهم غير مسموع، الرؤية باهتة كأنني أرى المشهد من خلف زجاج متسخ، أو أن الاستجماتيزم في عيني أصبح خمسين. امتلكني الظلام وقيدني في دركاته طوال الليل حتى سطعت الشمس لتنهي بعض عذابي دون أن تغمض عيني دقيقة واحدة، حتى جاء الفلامديو وجلس بجانبي:

- كام يوم وهتنساها وهي كمان هتنساك، فكك وركز في حياتك.

نظرت إلى الفلامديو بعين نصف مغلقة فاستكمل كلامه:

- أي مشاعر مش بتستمر بنفس القوة حتى لو خللت معاك طول العمر، مشاعرك هتكبر طول مأنت بترضعها، لو فطمتها ومأكلتهاش هتموت وتبقى ذكرى حلوة تفتكرها كل فين وفين، ولو مافتكرتهاش هتنساها خالص وهتعيش حياتك تصنع ذكريات جديدة زيها وأحسن واللي فات هيبقى مجرد همبكة شمبكة.

يتحدث فلامديو بلغة الناصح، ولكنني أشعر بعذاب دفين مسجون خلف كلماته، ولكن هل هو يمتلك مشاعر مثلنا لكي يتحدث عنها؟!

- وأنت تعرف إيه عن المشاعر أو الذكريات اللي مابتتنسيش؟

- الذكريات إحنا اللي بنطبخها مش هي اللي بتطبخنا، ولو عيشنا على الأكلة بتاعة امبارح هنموت من الجوع، أنا بقولك الكلام ده مش علشان متعاطف معاك لإني مش هسمح العواطف تحركني

بس بقولك الكلام ده علشان تصحصح معايا الفترة اللي جاية لإن ورانا شغل كتير.

لماذا يجعلني فلامديو أعتقد أنني أعمل في مصنع؟

- شغل إيه ده؟
- إيه اللي تقدر تفيدني بيه يخليني أسمحلك تقعد في المكان بتاعي؟

نظرت إلى الفلامديو بعين غاضبة:

- يعني لو مش هفيدك بحاجة هترميني بره؟!
- ما أنت هتفيدني، فكر كده وشوف لإن أي فسفوسة صغيرة ممكن بالنسبالي تبقى اختراع خارق للخوارق، فتح دماغك يا عم كيمو.
- عم كيمو؟!

ابتعد الفلامديو عني وذهب إلى سارة ومنها إلى الآخرين،

ماذا أستطيع أن أفعل له؟ وبماذا سيستطيع أن يفيده شخص مثل شفاط؟

انضممت إلى حسن فنظر لي بضيق:

- ايه اللي عملته امبارح ده؟
- فكك مني، أنت عامل إيه دلوقتي؟ أحسن؟
- لسه فاكر تسأل؟

لا أريد أن أسأل حسن عما حدث له لأنني رأيت الكثير أيضا:

- ماتعرفش هو السمك هنا سام ولا ممكن يتاكل؟

سألت لأتجنب حوار آخر دون رغبة في تناول أي كائن حي مرة أخرى.

- هو أنت مأكلتش سمك من ساعة ما جيت؟!

تعجبه جعلني أتأكد أن الجميع أكل سمكا فيما عدا أنا وريم.

- ده فيه سمك بيطير يا حسن، بيتاكل ازاي ده؟

- إيه ده أنت شفت Iniopteryx؟

أجلس مع موسوعة الجيولوجيا ويأتي كائن مثل فلامديو يزعم أنه أذكى منا:

- هي فعلا بتطير؟
- بص، هو في آراء بتقول إنها بتتزحلق على المايه زي سمكة طايرة كده، وفي آراء بتقول إنها شكلها كده ولكن هي عادية وفى جميع الأحوال هي مشش هتقدر تخرج بره الميه علشان التنفس بتاعها، وبالنسبة للأسماك السامة ممكن تتاكل عادي، السم بيكون تحت الجلد وعند الديل، فأنت ممكن تاكل اللحم اللي عند البطن من جوه وترمي الباقي.

لقد حرمت ريم من وجبتها المفضلة بسبب جهلي بمعلومة بسيطة هكذا، ولكن طبقا لفلسفة الكارما فهذا أفضل.

- بس ماتفرحش أوي لإن المكان اللي إحنا فيه مفهوش أي سمك، أنت مسمعتش فلامديو ولا إيه؟

انضم إلينا تيتو ووليد وسارة:

- مورنينج يا جماعة.
- صباح الخير يا سارة.

تدخل وليد:

- فيه حاجة غلط إيه هي مش عارف؟
- أبوس إيدك بلاش دلوقتي يا وليد.

تحدث تيتو:

- هتعلم الكائن اللي مش عارف اسمه ده جيتار يا فنان؟

ضحك حسن بسخرية:

- مش لما يعرف يلعب هو الأول.
- وأنت بتحكم على أساس إيه، هو أنت شوفتني وأنا بلعب قبل كده؟
- طب وهو فين الجيتار اللي هتعلمه عليه؟

تدخل تيتو مرة أخرى:

- ماهو ممكن يتعمل عادي مش هو من الخشب وجلود حيوانات؟
- وكيمو هيعرف يعمله؟

نظر تيتو للأرض خاسرا حتى تدخل وليد:

- لا فلامديو

سارة:

- That's a great idea

عرضت لفلامديو صورا للجيتار من هاتفي وبعض الفيديوهات التي أعزف فيها وكان انبهاره بالهاتف أكبر من انبهاره بالجيتار؛ لأنه بالرغم أن المجموعة السابقة أخبروه عنه إلا أنه لم يره من قبل.

- ما تفكك من الجيتار وتجيب الجهاز ده.
- عارف المشمش.

لم يفهم الفلامديو ما قلت إلا بعدما وضعت الهاتف بجيبي واستكملت كلامي:

- هتعرف تعمل الجيتار بعد الفيديوهات دي ولا إيه؟!
- أصحابك الخربانين دول معاهم تليفون زي ده؟
- لو خدت تليفون حد شوية وهيفصل شحن، مالهاش لازمه يعني، ممكن أسألك سؤال؟

- لا.

لماذا نعطي الآخرين الحق في رفض سؤال قبل أن نطرحه؟

- هو مفيش فلامديو في العالم ده غيرك أنت وبنتك؟ فين الباقي بتاعكم؟

نظر فلامديو بغضب شديد كاد أن يهلكني رعبا:

- لو سألت السؤال ده تاني هشنيرك.

ترك فلامديو على وجهي دهشة من هذا الرد العنيف وذهب، لماذا سؤال كهذا يجعله غاضبا هكذا؟! حقا لا أعلم ولكنه شيء عجيب

عندما تجلس سارة مع وليد يضحكون فحاولت التجسس عليهما:

- أنا كمان بحب زمن الثلاثينات أوي.. أنا مكنتش أعرف إننا متشابهين جدا كده.

وعندما تجلس مع تيتو وأتجسس عليهما:

- وأنا بحب الموسيقى التركي موت.. we are so similar

سارة تجلس مع حسن:

- فعلا مش شايفة إن احنا هنعيش على أي كوكب غير الأرض، احنا شبه بعض جامد موت.

وعندما تجلس مع شاكر:

- أنا بحب أوي الرجالة اللي بشنب كبير زي شنبك كده، وبالذات لما يكونوا دكاترة زيك.

ومع شفاط:

- عارف أكتر حاجة بتعجبني فيك إنك عايش لنفسك، ومش فارقة معاك حاجة في الدنيا، زيي كده.

ومعي:

- لا أنا مابحبش أقرأ روايات بصراحة، الموضوع ممل بالنسبالي.

دخل سعيد من الباب الخشبي واقترب الجميع منه ليستقبلوه:

- محدش يقربلي، اللي هيقرب مني هعوره، سيبوني في اللي أنا فيه.

يجلس وليد مع فلامديو يعلمه أسلوب الحرب، تكنيك "الهجوم والدفاع":

- ومن التكنيكات المستخدمة برضه في الهجوم تكنيك الهجوم المفاجئ وده بيتوقف على قوة الهجوم، من حيث العدد والسرعة ومكان الهجوم غير المعروف ووقت الهجوم غير المتوقع، أهم حاجة في الهجوم إنك تعرف بتضرب فين لإن القوة في إنك تعرف معلومات عن عدوك علشان تعرف نقطة ضعفه، قوة الضربة في مكانها مش بس قوتها، ولو تقدر تستخدم سلاح عدوك مايعرفوش هتضمن إنك هتنتصر.

يشرح وليد لفلامديو تكنيك الدفاع والهجوم وهو لا يستخدم غير تكنيك الهروب، انضممت إلى تيتو:

- وليد عمال ينخع على الفلامديو.

نظر لي تيتو ولم يرد لفترة ثم تحدث بموضوع آخر، فاستكملت كلامي:

- أنت هتعلمه إيه صحيح؟
- مالكش دعوى يا فنان روح أقعد لوحدك.
- مالك يابني؟
- أنت من ساعة ما جيت وأنت قاعد لوحدك، احنا مالناش لازمة في حياتك، حتى هنا مش طايقنا، روح يا كيمو.
- ماشي سلام.

ذهبت وجلست في مكان وحيدا، نظر لي بحزن فضحكت، وبعد عدة دقائق تحدث:

- هعلمه يغني.

نظرت إليه وابتسمت:

- غناء إيه اللي هتعلمهوله يا تيتو ده أنت بتطلع عيني على ما تعمل أغنية.
- هما الفنانين الصح كده، لازم ياخدوا وقتهم في التفنين.
- يا عم روح اجري.
- يا صاحبي مأنت الخير والبركة.

لا أعلم حقا لماذا تيتو يؤمن بي لهذه الدرجة دون الآخرين؟ فلامديو يجلس مع سارة:

- عارف أكتر حاجة بتعجبني فيك يا فلامديو إنك مش بتتاثر بكلام حد، زيي كده إحنا شبه بعض اووي.
- فكك من الكلام ده، هتعلميني إيه؟
- هقولك على الحيوانات الموجودة في الزمن بتاعي.
- المجموعة اللي قابلك قالهوملي يا قطة.
- هديلك الشاحن ده بيتشارج أي موبايل وسرعته عالية أوي، لو كان الموبايل بتاعي معايا كنت ادتهولك بس للأسف I lost it.
- ده شاحن بيشحن موبايلات من الكهرباء دي؟
- أه بس لازم تعمل فيشة.
- يعني ايه فيشة؟

تدخل شاكر:

- هعملك أنا الفيشة دي.
- وأنت يا شفاط هتعلمني إيه؟
- عقولك ازاي تشرب ازازة بيرة في ٣ ثواني.. عتجيب شفاطة وتحطها في الازازة وعتحط بوز الازازة في بوقك والشفاطة جوه وترفع للسحاب.
- بقول لك إيه.. هفتحلك الباب اتنطر بره.
- خلاص ممكن أعلمك ازاي تعمل كشري أحسن من المحلات.

تم فتح الباب الخشبي تلقائيا فتدخل شاكر:

- هو ازاي الباب اتفتح لوحده؟
- أديته إشارة يفتح.
- ازاي يعني؟
- موجات مش هتسمعها ودانك.
- على فكرة شفاط كويس ماتخرجوش.

استغربت قلق شاكر على شفاط، لم أتوقع منه ذلك.

- ازاي؟

خيم الصمت على شاكر فهو لم يجد شيئا ليقله فتدخلت في الحديث:

- معاه ازازة عصير هتخليك سعيد لما تشربها.
- هو سعيد.

نظر سعيد إلى الفلامديو:

- عايز ايه؟

ثم نظر لي واستكمل حديثه:

- مرجعنا بالزمن لحيوانات بتتكلم، مرجعنا لفيلم كرتون.

أغلق الباب الخشبي تلقائيا.

- وأنت يا سعيد هتعلمني إيه؟
- لا أنا هعلم عليك مش هعلمك.
- يعني إيه؟
- هقولك بعدين.

ذهب سعيد وسألنا فلامديو عن قصده فتظاهرنا بعدم فهمنا.

غادر يوم وحضر يوم آخر، صنع فلامديو جيتار أفضل من كل الأنواع الموجودة في الزمن الحديث بجلود حيوانات ميتة، قمت بتعليمه كل ما درسته في جلسة واحدة، نفذت بطارية موبايلي فأعطاني الشاحن الذي معه وقمت بشحن البطارية من مشترك الكهرباء الذي صنعه شاكر، ثم قمت بتشغيل العديد من الأغاني لفلامديو وقام بعزفهم جميعا بعد سماعهم مرة واحدة.

- أنت ال Fingers style عندك عالي.

النغمات التي يصنعها فلامديو مميزة للغاية، تستشعرها كمذاق حاد يداعب لعاب فمك. قمت بتصوير عدة فيديوهات لفلامديو أثناء عزفه، وبعدها تركته لتيتو كي يعلمه الغناء، وأثناء ذلك وجدت حشرة تشبه الصرصور تمر بجانبي:

- إيه ده يا حسن؟!
- ده Blattoptera ماتخافش مش مؤذي، نفسي ألاقي حاجة زيه ماكتشفنالهاش حفريات أرجع بيها.
- ده لو رجعنا يا حسن، يعني ده مش صرصار؟

- بـص هـي الكلمـة دي بتشـير للصراصـير الأوليـة وال Mantis والنمل الأبيض اللي موجودين في العصر الفحمي اللي احنا فيه.
- هو اسمه العصر الفحمي ولا الكربوني.
- مش فارقة يا كيمو هو اتسمى كده علشان معظم الفحم اتنشا فيه، والعصر ده الخامس واللي قبل الأخير في حقبة الباليوزي بعده العصر البرمي.
- الديناصورات هتظهر في الحقبة اللي جاية صح؟
- هتظهر في حقبة الميسوزي بس ده مش معناه أن الحيوانات اللي في العصر ده لطيفة، احنا لولا الفلامديو كنا اتبهدلنا.

تدخل فلامديو:

- فعلا كنتوا هتتشنيروا.
- فلامديو هما المجموعة اللي كانوا عايشين هنا قبلينا مقالولكش كانوا ساكنين فين في مصر.
- اللغة بتاعهم دايس عليها قطر ولا إيه؟
- لا زي الفل.
- سعيد.. ناوي تعلمني حاجة ولا هتعلم عليا.
- لا هعلم على أهلك.
- طب ماتيجي نشوف مين اللي هيعلم على أهل التاني.

يبدو أن فلامديو يفهم ما قاله سعيد، فلماذا سألنا عن معناه أمس؟ أخرج سعيد سكينا معه واقترب من الفلامديو بغضب شديد، وقف الفلامديو أمامه دون أن يتحرك وسط نصائح الجميع له بالابتعاد ولكن من الواضح أنه اتخذ قراره.

الفصل الخامس: المؤامرة

العواصف قد لا تقتلع شجرة ولكنها تحرق غابة، وما هو غير مرئي كفيروس قد يبيد جميع الكائنات، العالم دائما يتحرك إلى الهلاك وبعد أن يهلك يبدأ مرة أخرى من جديد بكائنات أخرى أكثر تطور.

قد يكون دمار الكوكب كارثة طبيعية تستغرق الكثير من الوقت لتنشأ، وقد تكون شيئا صغيرا من صنع كائن أخرق مثل سعيد، الكون قد ينتهي بسبب تصرف تافه من كائن ما، وأعتقد أن الإنسان وحده هو من يفعل هذا التصرف الذي يؤدي إلى الإبادة، هل سيكون الفلامديو بقدر الذكاء الذي يجعله يفرق بين تصرف سعيد وتصرفنا أم أنه سيضعنا فوق نفس الشجرة؟

انقض سعيد ناحية فلامديو وفي لمح البصر طار وأصبح فوق الشجرة ثم فتح الباب الخشبي:

- شنبر نفسك واتكل من هنا.

نظر سعيد إلى فلامديو بغضب: هخرج بس فيه حاجة لازم أعملها الأول.

مجموعة من Blattoptera تسير بهدوء حول شجرة، هجم سعيد عليهم، دهس اثنان منهم بقدمه وهرول السبعة الباقين صعودا على الشجرة التي يجلس عليها فلامديو.

- دلوقتي فيه كائنات مسالمة ماتت على أرضك، اشرب من اللي هيحصلك يا روح أمك.

لماذا فعل هذا الأبله ذلك؟ وكيف يتخذ من فلامديو عدو؟ إنها النهاية بالنسبة له.

نظر فلامديو إلى هؤلاء الحشرات ويبدو أنهم يتحدثون إليه، وأثناء ذلك خرج سعيد من المكان:

- دلوقتي قرايب ال Blattoptera اللي اتفركوا عايزين حقهم وإلا هبقى خنت العهد ولإني عمري ما هخون العهد فلازم واحد منكم يموت.

تحدث شاكر:

- اقتل اللي قتله.. أخرج اقتل سعيد.
- اعتبر سعيد مات كده بس هو بعزق اتنين مش واحد بس فلازم يموت اتنين.

تدخل وليد:

- ثواني بس.. اللي حط القانون ده مين ممكن تقولي؟ هل ترى أنه من العدل أن تسن قوانين ظالمة وتطبقها على الجميع برغم تقصيرك في حمايتهم؟
- القوانين معروفة من عشروميت سنة واللي مبوظ الدنيا أن محدش بينفذها، أنا ما اخترعتهاش أنا اتفقت عليها.

تدخل حسن:

- يعني واحد ماعملش حاجة ويموت.. طب تيجي ازاي دي يعني.
- أنا هترجم كلامكم لل Blattoptera علشان عايزين يفهموكم.

نظرت إلى تيتو:

- عايز يموت واحد مننا علشان صرصار اتقتل، مايعرفش اللي بنعمله فيهم.
- ده أنا قاتل بتاع ألف واحد لوحدي قبل ما آجي هنا نيهاها.
- ده وقت ضحك ده.

تحدث الفلامديو:

- القائد بتاعهم بيقولك يعني انتو عايزين تموتوا اتنين مننا واحنا نموت واحد بس؟

تدخل شفاط:

- قوله عو صح، ازاي هما يموتوا اتنين واحنا نموت واحد.

تدخلت قبل أن يفسد شفاط كل شيء:

- اهدى يا بني أنت فيه إيه، قوله ازاى حد يموت وهو معملش حاجة؟

أخبره فلامديو وأعطاني الرد:

- بيقولك والاتنين اللي ماتوا من عندنا مش ذنبهم حاجة برضه.

تدخلت سارة:

- يعني هو هيختار الفرد التاني على أساس ايه، whatever لو اختار بنتك هتعمل ايه؟

- مش هقدر اتزحلق من الحوار هيبقي نصيبها كده.

تعلمت قراءة الأعين الكاذبة ولكنني لم أتعلم قراءة أعين الممثلين البارعين والكائنات المنقرضة، وبرغم ذلك أعتقد أن فلامديو كاذب. تدخل شفاط:

- والله صعبت عليا، أنت حد طيب أوي ياسطى.

تدخل تيتو:

- طب وهو كده سعيد مات ازاي يعني؟

- سعيد مش هيدخل المكان ده تاني ومش هيرجع معاكم لما نلاقي ماندو أو الزرار، وانتو كائنات خريانة أي حيوان هنا ممكن

يعملكم كفتة وأنا كمان هقول للحيوانات تقتله علشان لازم ال Blattoptera يشوفوه ميت، القائد بتاعهم بيقول هيختار دلوقتي.

تدخل حسن هامسا:

- صرصار هو اللي هيحدد مصير بني آدم؟! حاجة عار.

قاطعه وليد:

- ماتخافوش يا جماعة، أنا القائد وهحميكم.

*****

عيون تتلألأ خوفا، عيون يائسة وعيون لا تكترث، هكذا كان استقبالنا للأمر وكانت عيون ريم هي مزيج من الثلاثة، إذا حدث لها أي مكروه سوف أتحول إلى أشلاء. طالت المدة قبل الاختيار ومع كل لحظة تأخير يقل وزني عرقا قد يملأ بحرا، ليس خوفا على نفسي ولكن خوفا من المجهول، خوفا من أن أفقد أي شخص فيهم خصوصا ريم.

- القائد قرر واختار يا جماعة واختياره وقع عليا أنا، أنا اللي هفلسع مع سعيد الزبالة، هقتل نفسي.. ياريتني ما أنقذتكم.

- أوب.

اصفرار وجوهنا من أثر الصدمة أخرسنا عن الكلام، لم أظن يوما أن فلامديو كائن جيد، ولكن بعد أن طبق القانون على نفسه فأنا مؤمن أنه مخلص لأفكاره؛ ولكن إذا مات فلامديو كيف سنعود جميعا؟!

تدخل شاكر:

- احنا مش هنعرف نلاقي الزرار أو ماندو من غيرك، قل للكائن ده إنه كده هيقتلنا كلنا، اشرحله الموقف.

- مش هيفهم يا شاكر، عقله مش زينا.

لم يكن من السهل أن أتخذ قرارا كهذا، ولكنه ليس من الصعب أيضا فحياتي لا قيمة لها الآن، ويجب أن أنقذ ريم والجميع:

- فلامديو.. ترجمله إني عايز أموت مكانك.

أصوات الجميع حولي تعترض كلامي ولكني لا أسمعهم:

- بلاش وماتتهورش لإن لو فعلا قلتله ووافق مش هقدر أفلسعك.

أتأكد من هذا الشيء لأن فلامديو سيقتل نفسه الآن دون أي تردد لكي ينفذ القانون؛ فبالتالي بدون أدنى شك سيقتلني: أنا قررت خلاص.

اقترب تيتو مني:

- اوعى تعمل كده يا كيمو.. أنت ليك مستقبل كبير ماتضيعهوش.

تحدث وليد:

- خلي فلامديو هو اللي يموت وماتخافش، اعتمد عليا وهنلاقي ماندو.

حسن يتحدث، سارة تتحدث، شاكر ينظر متعجبا، شفاط يشرب البيرة، ريم مجنم ساكن أوشك على الانفجار.

- ال Blattoptera وافق على كلامك.

أصوات البكاء تحاوطني، أمسك بي تيتو، هرولت ريم تجاهي والدموع تملأ عينيها، كدت أهرول باتجاهها ولكن أوقفني الفلامديو وهمس في أذني:

- لو بتحبها اجرحها علشان تقدر تعيش من غيرك بعدما تموت.

لقد أفسد فلامديو اللحظة التي كنت أنتظرها، ولكنه محق تماما فإذا أخبرتها بالحقيقة سوف تتألم كثيرا، ومن الممكن أن يحدث أي شيء سيء لها. أحاطت ريم كفيها حولي وضمتني إليها، داعبت عينيها الباكية عيني، وبللت وجهي من دموعها، نبضها المتسارع أصبح نبضي وجعلني أحيا

مرة أخرى قبل أن أفارق الحياة، كم كنت أشتاق هذا الحضن! كم كنت أشتاق أن تغفري لي! ولكن غفرانك في الوقت الخطأ؛ فكراهيتك لي هي أنسب شيء لنسياني الآن، يدي تتمنى أن تلتف حولها وتحتضنها، تشتاق أن تضمها كما تضمني ولساني يتمنى الاعتراف قبل مداعبة فمها الذي أخبرني بحبه أخيرا:

- سيبني اروح مكانك وماتضحيش بنفسك علشانا.

عيوني تتلألأ عشقا، قلبي يتطاير فرحا وحزنا في نفس اللحظة، أتمنى أن أسرق قبلة من شفتيها قبل أن أذهب ولكن فمي كان له رأي آخر:

- لو ينفع تروحي مكاني روحي بس القائد بتاعهم مش هيوافق خلاص وأنا ماضحتش علشانكم، أنا ضحيت علشان سارة حبيبتي.

أبعدت يد ريم عني برفق ثم اتجهت نحو سارة واحتضنتها كما لو أنها ريم بعيون باكية حتى وضعني الفلامديو فوق ظهره مستعدا للذهاب. اقترب منه شفاط وأعطاني زجاجة بيرة ١٥%

- دي آخر ازازة معايا، اشربها قبل ما تموت عتقلل الوجع.
- شكرا يا شفاط.

طار فلامديو بي ودموعي تتساقط فوقه دون أن أودع ريم بالنظرة الأخيرة حتى لا ينكشف أمري.

- مكانتش هتستحمل لو عرفت الحقيقة حتى لو الوقت بينسي زي ما قولتلك، لإن هي مكانتش هتدي لنفسها وقت تنسى فيه.
- أنت عمرك ما حبيت؟

تباطأ فلامديو أثناء طيرانه:

- ماتفكرش تسأل السؤال ده تاني.

- أنا هموت دلوقتي يعني لو عرفت الإجابة هتدفن معايا.
- ومين قالك إنك هتدفن، أنت السمك هيقرقشك.
- أحب أقولك إنك واطي.

هبط فلامديو أمام البحر:

- محدش قالك تنقذني، لازم أقتل مشاعري علشان الحياة تستمر، أنا كنت هشنير نفسي عادي طالما ده القانون ودلوقتي القانون إني أشنيرك.
- ممكن أطلب منك طلب؟

نظر الفلامديو للزجاجة في يدي:

- اشربها، علشان ماتحسش بالوجع.

هبط ال Blattoptera من على ظهر الفلامديو، فتحت البيرة التي أعطاها لي شفاط وتابعت فلامديو لأراه حين هبط إلى البحر، حيث وجدته يقف مع سمكة غريبة تشبه القرش بأسنان مخيفة للغاية، ضربة واحدة منها ستجعلنى أذوب في الماء، إنني أستطيع أن أهرب الآن ولكنني لن أفعل لأن الموت أمر حتمي في الحالتين، عاد فلامديو لي مبتلا.

- خلصتها؟
- تعالى نشربها سوا.
- مابشربش حاجة معرفهاش.
- ده العصير اللي قلتلك بيخليك سعيد ودي آخر علبة يعني لو ماشربتهاش معايا مش هتشربها خالص.
- يعني شفاط ادالك آخر علبة كان هيدهالي؟!
- ما أنت هتشربها معايا دلوقتي وتسيبه عندك.

نظر لي فلامديو ثم نظر للعلبة وسحبها من يدي:

- لو ماعجبتنيش هشنيرك قبل ما ال Edestus ياكلك.
- موافق.

احتسى قطرات لا تسكر وكاد أن يتقيأ:

- هو ده سم؟
- لو عايزك تموت مكنتش اخترت أموت مكانك.

احتسيت بعضا منها أمامه ليتأكد.

- الطعم غريب عليك علشان أول مرة، اشرب كمية كبيرة وابلعها مع بعض، هي بتتشرب كده.
- قائد ال Blattoptera شنير وداني استعجال.
- أنا بطيء في الشرب، اشرب أنت بسرعة.
- ازاي مشروب يخليني سعيد، كلام أونطة باين عليه.
- جرب وقرر.

احتسى فلامديو جرعة كبيرة ثم تظاهرت أنني أحتسي أيضا.

- غريبة، غريبة أوي.
- عارف يا فلامديو في الزمن اللي أنا جيت منه، مفيش حيوان بيقف قصادنا، احنا أسياد الكوكب هناك مش زيك، أقل واحد هنا.

نظر لي فلامديو بغضب:

- أنا سيد الكوكب برضه وماتحاولش تلعب معايا اللعبة دي.

أعطيت الزجاجة لفلامديو:

- أنت أي كائن هنا بيمشي كلامه عليك بحجة القانون، اشرب اشرب.

احتسى فلامديو البعض منها وتثاقل لسانه بعض الشيء:

- احنا عندنا عدل، كل كائن زي التاني، مش زي عندكم سبهللة.
- يعني أنت زي ال Blattoptera، امال قارفنا بعقلك ليه، احنا بقى مش زي أي حد وأحسن من كل الكائنات، اشرب اشرب.

احتسى فلامديو مرة أخرى وأعطاها لي:

- أنت فاكر نفسك أحسن من كل الكائنات بس أنت في الحقيقة كائن مقرف، ولولا إنك موجود بعدي ب ٣٠٠ مليون سنة وعندك كل العناصر اللي تخليك تخترع ماكنش زمانك وصلت لحاجة وكنت هبقى متطور عنك بكتير.
- وأنت وصلت لإيه يعني وحققت إيه يا فلامديو؟ ده أنت بتعيش على الشجر وحياتك تقليدية بائسة، ده يمكن كل الكائنات اللي هنا أسعد منك، امسك اشرب.

أصبح فلامديو يهتز أثناء الحديث:

- أنا وصلت لحاجات عمرك ما تتخيلها بس كله ضاع، كله بقى كنافة، امسك العصير بتاعك طعمه وحش بس فيه حاجة حلوة.
- لا أنا مش عايز أشرب تاني كملها أنت بس وأنت بتشرب كده افتكر إن شوية الحشرات دول بيتحكموا فيك، واللي قلت عليهم أغبياء من شوية سلطتهم أقوى منك وكانوا هيخلوك تقتل نفسك.

نظر الفلامديو لل Blattoptera

- بيقولي لو مقتلتهوش دلوقتي هنخليك تموت أنت وهو.
- مين اللي بيقولك كده؟
- الشبح ده.
- قصدك القائد العظيم بتاعهم.

- القائد العبيط.

ضحك فلامديو ضحكات غريبة دون توقف:

- قوله اهدا لابططك.
- قلتله شتمني، شتمني النتن، بيقول عليا اتهطلت، فاكرني أهبل ومجنون وبهمبك في الكلام.
- أنت سايب بق عصيراشربه، هو بيتكلم صح، أنت جبان يا فلامديو وعمرك ما هتبططه فعلا.
- بيقولي شكلك قررت تموت معاه فاكرني هفا.
- تبقى هفا فعلا لو مابططتهوش، فعصه برجليك.

ضحك فلامديو بلا سبب ثم وقف وجلس بسرعة قبل أن يسقط ثم دهس قائدهم، حاول الآخرون الفرار فدهست أحدهم.

- دوس دوس معايا.

سقط الفلامديو على الأرض فدهست الباقيين:

- أنا خنت العهد.
- محدش شافك وهتفضل عايش في سلام فكك واتبسط.

صوت يأتي من الخلف:

- لا للأسف فيه حيوانات كتير شافوه.

نظرت خلفي بسرعة ونظر فلامديو ببطء فوجدنا سعيد يجلس على ظهر حيوان من نفس الفصيلة التى هاجمتني عند حريق الغابة ثم هرب به مسرعا، وخرجت الكثير من الحيوانات الأخري والحشرات من خلف الشجر ثم هربوا خلف سعيد فتحدثت إلى الفلامديو متعجبا.

- ايه اللي جاب سعيد هنا وهما هربوا ليه؟
- علشان يفضحوني ويقولوا اللي حصل.

- أنت خايف منهم؟
- اللي يقربلي هنفخه وهقولهم كده بكل لغات الحيوانات والحشرات.
- اهدى يا عم فلامديو ماتودينـاش في داهية.
- تعالى معايا ارميك لل Edestus تاكلك.
- ما خلاص اللي كانوا عايزينك ترميني ماتوا.
- بس أنا اتفقت مع السمكة أنها هتاكلك وماينفعش أخون العهد.
- العهد باظ خلاص، أنت لسه خايف وأنـا اللـي افتكرت إن مابقـاش يهمك.

أمسك الفلامديو الحشرات الميتة وقفز في الماء ثم عاد:

- بتقولي فين اللي قولتلي عليه قولتلها كلته أنا، قزقزي دول بسنانك بدل ما أكسر هملك.
- أنت ازاي بتتكلم مع السمك أصلا؟!
- عن طريق البول وقلتلك متسألنيش أسئلة شخصية لإن دي أسرار.
- وازاي بتتنفس تحت المايه.

أمسك الفلامديو شيئا بيده: بحط الخياشيم دي عليا.

- بسهولة كده؟!
- طبعا مبسوط إنك مامتش بس ماتقلقش كلكم هتموتوا لان صاحبكم ماجاش أصلا.

نظرت له بعيون تكاد أن تسقط من وجهي:

- ماجاش ازاي أنت إيه عرفك؟
- المجموعة التعبانة اللي كـانوا هنـا قبـل كده كـانوا مستنينه برضـه ومجاش.

صاعق كهربائي احتل جسدي لعدة ثواني أفقدني كل أمل: أنت متأكد؟

- مش عايز تصدق اشطه براحتك.

لقد أخبرني ماندو إنه لم يجد المقبرة حين عاد وظل عدة سنوات يبحث عنها، لقد استطاع أن يبث كذبه في عقلي بسهولة دون أن أدرك أن ماندو من المستحيل أن يفقد المقبرة هكذا.

- طب هما رجعوا ازاي؟
- كلهم اتكلوا.
- اتكلوا يعني ايه؟!
- فهيصوا ماتوا كلهم، محدش رجع.

جلس فلامديو على الأرض ثم غرق في النوم وتركني غارقا في أفكاري، تائها في عقلي؛ فالأمل الوحيد الذي نعيش لأجله أصبح وهما وانتهى كل شيء، لماذا نعيش إذن؟ يا ليته ألقاني للسمكة تأكلني، عليك اللعنة يا ماندو!

غلبني النعاس واستيقظنا على أصوات معظم حيوانات الغابة التي تهجم علينا، فأخذني الفلامديو فوق ظهره وطار بي ومن خلفنا الجميع، فحدثني متعجبا:

- هما بيهاجموني ليه، فيه ايه؟!
- هو أنت مش فاكر امبارح ايه اللي حصل؟!
- آخر حاجة إني كنت جاي أقتلك.
- طير يا حبيبي طير ده احنا هنتنفخ.

لا أريد أن أنظر إلى الخلف حتى لا أموت من الفزع، دخلنا من الباب الخشبي وتم إغلاقه خلفنا ثم مات الكثير من الكائنات بسبب الكهرباء

بعدنا، ورأيت الفزع في عيون الجميع برغم الترحيب والسعادة لعودتي سالما ثم اقتربت ريم مني:

- مبسوطة إنك بخير، كويس إنك رجعت لسارة، حمدا لله على سلامتك.
- بنتي شافت سعيد مع الحيوانات اللي في الغابة، فهو كرههم فيا بطريقة ما وعايزين يقتلوني أنا وبنتي دلوقتي، فيه حاجة حصلت امبارح مش فاكرها هي السبب في ده كله، ومش قادر أفهم ازاي كيمو عايش لغاية دلوقتي؟ آخر حاجة فاكرها إني كنت بشرب عصير تقريبا.

تدخلت مسرعا:

- أنا كنت بشربها علشان ماحسش بالوجع وأنا بموت بس أنت شربت معايا وبعدها بقيت تتصرف بغرابة، بدل ما تقتلني قتلت الصراصير، وكلهم شافوك وكان معاهم سعيد قاعد على ظهر حيوان ضخم شبه السحلية.

تساءل حسن: Proterogyrinus

عارضه فلامديو: لا أكيد Anthracosauria

اصفر وجهي خوفا أن يكون تذكر الحوار كاملا: أوب.

تدخل وليد: لازم نحط خطة نجيب بيها سعيد الأول.

رد عليه الفلامديو:

- انتو تطلعوا كلكم بره البيت ده دلوقتي وماشوفش وش حد فيكم، ولو عايزين تعيشوا تجيبولي سعيد صاحي؛ لأن الكائنات دي أغبياء وطالما كان معاهم يبقى حكالهم بأي طريقة وشافوا بعينهم، محدش هيقدر يخليهم يغيروا تفكيرهم غيره، وحتى لو همبك في الكلام هترجملهم ساعتها اللي أنا عايز أقوله.

نظر تيتو إلى فلامديو:

- يا صديقي هنخرج ازاي وكل دول بره؟!

قاطعه حسن:

- أصلا لو الباب اتفتح كل الكائنات دي هتدخل عندك.

رد فلامديو بضيق:

- أول لما يزهقوا ويتنطوروا بعيد هتخرجوا كلكم، لإني مش هقدر أخرج ولا أساعدكم خلاص، أنا مطارد وأصلا أمان ليكم تبقوا بعيد عني.
- ما هنا محدش هيقدر يدخل بسبب البيت الخشبي.
- ممكن البرمائيات زي Anthracosauria تيجي عن طريق البحر.
- العهد بيني وبين الكائنات البحرية لسه موجود وأكيد هيحاربوهم.

أخمدت غرور فلامديو بجملة واحدة:

- عائلة ال Edestus أكيد عايزين يموتوك لإنك شتمت واحد منهم وأنت شارب العصير.

قاطعني شفاط بعفوية:

- قصدك البيرة، وهو ضارب بيرة.

تبكي سارة بدون صوت فنظرنا إليها:

- هو فيه أمل إن احنا نرجع، i miss my home اوي.

تحدثت بصوت غير مسموع: عارفة المشمش.

لا أستطيع أن أخبرهم الآن أن ماندو لم يأتي معنا، فربما تقتلهم الصدمة، نظر شاكر إلى سارة بحزن:

- نرجع إيه، احنا بنصارع دلوقتي على مين هيعيش عدد ساعات أكتر.

وقف وليد شامخا: يكفينا شرف المغامرة.

سخر شاكر منه: عظيم! عظيم!

نظر تيتو لي:

- وليد ده ظايط في أي حاجة، مغامرة إيه يا عم عايزين نرجع.

رد وليد: وأنت بمزاجك ترجع يعني.

قاطعته:

- مش أنت كنت قايل فيه حاجة غلط، هيبقى بمزاجنا ازاي ما خلاص.

فسر وليد وجهة نظره:

- مأنا قلت فيه حاجة غلط إيه هي مش عارف، أنا ماقلتش إني أعرف إيه هيحصل.
- أعتقد عرفت دلوقتي يا عم وليد، وأنت يا تيتو دلوقتي بتقول مغامرة إيه عايزين نرجع، ما أنت كنت بتقول لو مغامرتش علشان توصل يبقى ماتستاهلش إنك توصل أصلا ولا أنت كنت بتقذذ لب ساعتها.
- أه والله كان لب أبيض حلو، نفسي آكل شوية نيهاها.
- بتضحك في أوقات غلط أنت دايما بضحكتك الغريبة دي.

قاطعنا فلامديو:

- الصبح أول ما الحفلة اللي بره دي تشطب تخرجوا كلكم وماتجوش إلا لو جبتولي سعيد.

الفصل السادس: البحث عن ورقة شجر

نهار جديد مخيف ينتزع شعور الأمان الذي اعتدناه في الأيام القليلة الماضية، ويرجعنا بشمسه في كل خطوة نخطوها، نزحف بلا هدف أو أمل؛ فمصيرنا هو الموت الحتمي القريب، وأي محاولة بائسة لتجنب ذلك هي محاولة لإطالة الوقت قليلا ليس إلا.

لم أتوقع يوما أن أموت في مكان وزمان آخرين، أو أن تأكلني كائنات منقرضة، لم أتوقع أن أموت في هذا العمر وألا أستطيع أن أنقذ الأشخاص الذين أحبهم. لقد أنهيت كل شيء معها، وقتلت كل شعور لها تجاهي بحواري الأخير معها وأصبحت لا أستطيع أن أخبرها شيئا أو أن أجعلها تلاحظ عيني، ولذلك أبعدتها عنها ونظرت للحيوانات التي تنتشر في جميع الاتجاهات؛ فلابد أنهم ينتظرون أن يهجموا على فلامديو، والعديد من الآخرين موتى بسبب الكهرباء، ماذا سيجني سعيد من ذلك؟! إنه خاسر في جميع الأحوال. توقفنا جميعا دون أي صدمة، ولكننا لا نعلم إلى أين سنذهب؟ فتحدث حسن:

- احنا لازم نلاقي سعيد ونرجعه.

قاطعه شاكر بشاربه:

- الموضوع مش سهل كده والأفضل إننا نلاقى ماندو أو جثته وناخد الزرار اللي كان معاه نرجع بيه.

لن أستطيع أن أخبرهم بعدم وجود ماندو، ولكنني سأقترح شيئا آخر.

- احنا ندور على ماندو أو سعيد واللي نلاقيه، احنا كده كده مابنختارش ندور على مين.

تدخل وليد:

- بصوا بقى، أنا القائد، يا ريت تسمعوا كلامي المرة دي علشان ماينفعش كل واحد يتصرف من دماغه.

قاطعه تيتو:

- خلى كيمو قائد.
- لا يا تيتو شكرا لكرمك ده، لو عايز تبقى القائد أنت، اتفضل.
- أنا لو عديت من الشجرة دي لدي هموت نيهاهاها.

نظر وليد بضيق: خلصتوا؟

- سلمناك مفتاح القيادة يا وليد، هنعمل إيه دلوقتي؟
- أشكرك لإيمانك بقدراتي، من الواضح أن سعيد لم يبتعد كثيرا؛ لإنه خرج امبارح وراح عند البحر في المكان اللي فلامديو قتل فيه الكائنات اللي شبه الصراصير؛ ولذلك قد نجد سعيد بالقرب من هذا المكان، ولكن لابد أن تكون خطواتنا سريعة.

تحدث تيتو هامسا:

- أنا شكلي كنت ظالمه ولا ايه، ده بيفكر صح اهه.

تدخل حسن:

- برافو يا وليد، طب فيين المكان ده؟
- كيمو عارف.

أتمنى أن يستبدل وليد أفكاري المترسخة تجاهه.

- المكان قدام على نفس الطريق بس أكيد في حيوانات كتير هنا.

تحدث وليد:

- يبقى نروح من طريق تاني بين الشجر.

رد تيتو: فل فلافيلو.

تابعه شفاط:

- أنت حد دماغ وحاسس إنك عتنقذنا، اشطة عليك.
- أشكرك لإيمانك بقدراتي.

تهكمه شاكر كالعادة:

- وهناخد أنهي طريق يا عم العبقري؟

شاور وليد على طريق ضيق:

- ده

ثم نظر إلى طريق أوسع: لا ده ده.

تحدثت سارة:

- أنت متأكد إن الطريق ده مفهوش Swamps علشان لو فيه المشي هيبقى صعب، وعلى ما نوصل هيكون سعيد مشي.
- لا أعتقد بوجود Swamps به ثقي بي.
- اوكي hun

همس تيتو في أذني: هو إيه ال Swalps ده؟!

- مستنقعات واسمها Swamps
- أيوة بقى يا كيمو يا جامد يا بتاع اللغات.
- اسكت هتفضحنا.

استكمل وليد حديثه:

- يلا بينا يا جماعة، الوقت مش في صالحنا ودي فرصتنا الأخيرة وإلا الدنيا هتبوظ وهنموت كلنا.

سار وليد أمامنا كقائد عسكري في معركة حربية.

- أنا مش مصدق أن وليد طلع حد يعتمد عليه.

سقط وليد في مستنقع وصرخ بشكل هيستيري.

- أنا مش بعرف أعوم، يا كيمو.. يا تيتو.. يا جدعان.

وليد يضرب الماء بيديه ويشرب الكثير منه، يبدو أنه سيغرق فعلا. تدخل شاكر:

- افرد رجلك يا حبيبي هتلاقي أرض تحتك.

فرد وليد قدميه فوصل الماء حتى خصريه، فحدثه حسن:

- أنت كويس؟

لم يجرؤ وليد على الرد أو النظر إلينا لأنه يقع تحت طائلة الإحراج فتدخلت سارة:

- يلا نرجع وندخل من طريق تاني.

ردت ريم:

- بصوا كده.

نظرنا إلى الخلف جميعا فوجدنا على أول الطريق الذي دخلنا فيه كائن عملاق عجيب للغاية يسمى spathiphyllum mirus، كائن رباعي الأرجل مسطح للغاية، رأسه مربعة ومسطحة للغاية، عيناه في أعلى رأسه من المنتصف وقريبتان من بعضهما، وجهه يشبه كرسي الاجتماعات الذي تم إغلاقه، وأعتقد أنه سيصبح زاوية ٩٠ درجة حين يفتح فمه، لديه مئات الأسنان الصغيرة التي تبلغ حوالي ٣ ملليمترات هذا ما أخبرنا به حسن. قفز الجميع في المستنقع وانطلقنا في هذا الطريق مجبرين حتى تحدث حسن:

- أنا مكنتشش أتوقع إني هشوف الكائن ده عملاق كده لإنه كان عايش في منتصف العصر ده طبقا للحفريات بس كان حجمه

صغير، كانت رأسه حوالي ٢٢سم وفكه اللي فووق كان أنحف من ١سم. العصر ده بقاله ٥٨,٩ مليون سنة وهينتهي كمان ١,١ مليون فأكيد هو انقرض. والكائن ده تطور منه بس لسه ملقناش حفرياته، يعني يوم ما ألاقي كائنات مالهاشش حفريات يبقى الفلامديو وده هشيلهم ازاي أنا.

أخرجت موبايلي الذي تم شحنه مؤخرا بفضل الفلامديو وقمت بتصوير هذا الكائن دون أن أمعن النظر، وقف وليد أمامه ودون ملاحظاته ثم تحدث:

- أعتقد أن علم الحفريات ليس دقيقا للغاية ومن الممكن أن نجد بعض الأخطاء أو الحيوانات الكثيرة التي لم يتم اكتشافها بعد.

قاطعه شاكر:

- حاسب تغرق أنت بس.

تحدثت ريم من الخلف:

- طب هو كده مش هيجي ورانا؟!

قلت سريعا مغتنما الفرصة دون أن أنظر إليها:

- محدش هيقدر يقربلك وأنا معاكي.

قاطعتنا سارة:

- Thanks hun بس مش أنا اللي اتكلمت، دي كانت ريم.

مضينا في طريقنا فهمس تيتو في أذني:

- هو أنت كنت تقصد ريم ولا سارة؟!

نظرت له ولم أجب.

- أكيد كنت تقصد ريم أنا عارف.
- اسكت يا تيتو دلوقتي معلش.

تحدث شفاط:

- هو احنا عنروح فين؟

رد عليه شاكر:

- هنروح الملاهي، رايحين الملاهي دلوقتي.

تحدث وليد:

- الخروجة دي ناقصة ماندو يا جدعان.

أجبت عليه متهكما:

- خروجة؟! أنت صدقت إننا رايحين الملاهي ولا إيه!
- بذمتك أنت مش مستمتع ولا أنت كان عاجبك الشقة اللي أنت كنت قاعد فيها.
- أنا عايز أعيش.
- الحياة ما هي إلا مجرد لحظات زائلة، أهميتها ليست في عددها ولكن في قيمتها.

تحدث تيتو:

- مش هيبقى فيه لحظات خلاص إحنا هنموت كمان شوية.
- أي موتة تشرفك أكثر، موتة في مستنقع بفم حيوان منقرض في العصر الكربوني أم على سريرك بسبب الشيخوخة؟

انفعل شاكر على وليد:

- اهدأ يا عم الفيلسوف.

مازلنا نسير في المستنقع ببطء شديد. تحدثت سارة:

- يا جماعة احنا بالمشي ده على ما نوصل، سعيد هيكون في قارة تانية.

تحدث شاكر:

- هنعمل إيه يعني يا سارة يا حبيبتي ما كله بسبب الباشا القائد.

تحدثت ريم إليه:

- خلاص يا شاكر هو كان عايز يساعد مايقصدش.

تحدث وليد إليها:

- أشكرك لإيمانك بقدراتي.

تحدث شاكر إليه:

- قدرات إيه يا حبيبي، أنت عندك قدرات أصلا.

تحدث حسن إلى شاكر:

- ياريت تهدى وتتكلم معاه بطريقة أحسن.
- اركن أنت كمان يا حبيبي.
- إيه حبيبك دي أنت عبيط ولا إيه.

تحدثت إلى تيتو:

- هدي حسن يا تيتو مش وقته.

تهجم شاكر على حسن:

- مين ده اللي عبيط يا حيوان أنت؟!
- أنا فعلا حيوان لكن أنت حشرة.

تدخل تيتو وأبعد حسن:

- خلاص يا حسن ده حشرة مايقصدش قصدي ده بني آدم مايقصدش.
- أنا حشرة يا حيوانات؟!

نظر حسن إلى تيتو وسأله:

- هو أنت مش حيوان؟
- لا أنا حيوان.
- وأنت يا وليد؟
- أنا حيوان مفكر.

تدخلت أيضا:

- وأنا حيوان فنان.

تدخلت سارة بطريقة غير متوقعة:

- محدش معاه سيجارة؟

نظرنا جميعا إليها دون كلام من أثر صدمة السؤال غير المتوقع أثناء هذه المشاجرة فاستكملت حديثها:

أول مرة أبطل الفترة دي كلها وحاسة ب war في دماغي.

تحدث تيتو إليها:

- ألف سلامة عليكي من ال war

ثم همس في أذني:

- مش war دي يعني صداع؟!
- لا يعني إسهال.
- نيهاهاهاها.
- عليك اللعنات.

تحدث شفاط:

- وأنا كمان خرمان من ساعة آخر ازازة شربتها.

تحدث وليد إلى سارة:

- على فكرة السجائر مضرة بالصحة ولو عرفتي الأضرار اللي بتعملها عمرك ما هتدخني.

تحدثت إلى وليد غاضبا:

- هو أنت مش بتشرب سجاير يا حبيبي؟!

نظر وليد لي بوجه أصفر، وزاد منسوب المستنقع بعض الشيء من عرقه ثم نظر أمامه وسار فتحدث شاكر إلى سارة:

- عارفة أنتِ مصدعة ليه؟ مش من قلة السجائر بس بسبب الرغي بتاعهم.

تحدث حسن:

- أنت حاططنا في دماغك ليه يا عم؟

همست إلى تيتو:

- قول لحسن يهدي هرموناته شوية.

رد شاكر عليه:

- أنا أتكلم زي مأنا عايز يا بني أنت هتحكمني.

- مين ابنك ده، أنت عبيط ولا ايه؟!

يبدو أن حسن لا يفكر إلا حينما يتعلق الأمر بالعصور الجيولوجية، أبعد تيتو حسن عن شاكر وحدثه بصوت عال:

- هدي أعضاءك يا زيزو، طب ده واحد تنح هتخليه يستفذك.

ضحك شفاط:

- تنح، والله أنت بتقول كلام صح الصح، فل عليك.

- مين ده اللي تنح يا زبالة؟! أنا هوريك.

تدخل وليد:

- خلاص يا جدعان، بما إني القائد هنا بقولكوا فركش، أي شجار قد يحدث في هذا المستنقع قد يدمر حياتنا جميعا، انتو بتعملوا إيه بس؟!

تحدث إليه حسن:

- ده كائن لزج.

قاطعه تيتو:

- معاك حق بس مش معنى إن هو لزج يبقى نتخانق دلوقتي، اضربه بعدين.

تدخلت أخيرا:

- آسف يا ريم بس حقيقي أنا معرفش ازاي ده يبقى أخوكِ، بجد حاجة غريبة إن العصفور الجميل القمر أوي ده يبقى أخو الكائن ده.

- والله ما هسيبك.

حاول شاكر أن يضربني فأبعده تيتو:

- وأنا مش هعملك حاجة علشان ريم.

- ماتجيبش سيرتها على لسانك يا كلب.

هاجمني الشارب شاكر دون أن يصل لي؛ فأصدقائي يمسكون به.

- بقولكم سيبوني.

ضرب شاكر حسن لكمة بوجهه ردها إليه في حينها:

- بتضربني أنا كده والله لأبهدلك.

- قابل قنابل في وشك ياض.

دار شجار بينهم أدى إلى فقدان حسن لنظارته وكدمات في يد شاكر، استمر هذا الشجار إلى أن نجحنا في إبعادهم عن بعضهم، وتوالى سبابهم العنيف بعض الوقت إلى أن خرجنا من المستنقع وقاطعتهم سارة:

- هو عدد ساعات اليوم دلوقتي ٢٤ ساعة برضه ولا متغير؟!

لم تنجح هذه المرة في إخماد ثورتهم ولكن كائن عملاق للغاية نجح في ذلك؛ كائن يبلغ طوله ٣ أمتار، وزنه حوالي ٩٠ كجم، جمجمته كبيرة نسبيًا، عريضة ومسطحة، يبلغ طولها حوالي ٦٠ سم، له فم هائل مع العديد من الأسنان المنحنية التي تشبه المتاهة المسننة مثل الضفدع، سقف فمه يحتوي على ثلاثة أزواج من الأنياب المنحنية للخلف ومغطى بإسقاطات عظمية متجهة للخلف أيضا، والتي من الممكن استخدامها لاحتجاز الفريسة الزلقة بمجرد الإمساك بها، الأطراف كبيرة وقوية بشكل خاص. فسألت حسن:

- خطر الحيوان ده ولا إيه؟

- هو فين أنا مش شايف حاجة.

هرول الجميع وهرول حسن معنا.

- حد يمسكني يا جدعان، انتو فين؟

تحدث وليد إليه:

- احنا جنبك امسك ايدي اهيه ماتخافش.

أمسك حسن يد وليد؛ فاصطدم وليد بغصن شجرة وسقط خلفه حسن ومازال الحيوان واقفا في مكانه ولم يهاجمنا بعد.

شاكر وريم يهرولون أمامي ممسكين بيد بعضهم وأنا أهرول خلفهم ممسكا سارة بيدي وتيتو بجانبنا.

- هو فين شفاط؟

طلبت من تيتو أن يفيق وليد وحسن، ولكن خوفه من الاقتراب منعه بعض الشيء، ففعلت ذلك أثناء مناداتي على شفاط. فتحدثت ريم:

- الحقوا!

شاورت ريم إلى الكائن فوجدنا شفاط يجلس فوقه كما لو أنه حصان، اقتربت بحظر عدة خطوات:

- أنت بتعمل إيه؟!
- لقيته متعور باطبط عليه.

ردت سارة:

- WOW, So cute

تحدث حسن:

- شكله عامل ازاي الكائن ده؟

أعطيت الموبايل لحسن كي يرى صورته:

- ده Eryops megacephalus .. لازم ينزل حالا.

تحدث شاكر:

- أنا مش مستغني عن حياتي وحياة أختي علشان مجانين زيكم، أنا همشي لوحدي.
- وأنت فاكر إنك لو لقيت ماندو هيرجعك من غيرنا؟!

تركت ريم شاكر واتجهت ناحية شفاط، أنزلته من فوق ال Eryops ثم قطعت قطعة قماش من أسفل ملابسها، فقمت بالاقتراب منها لأراها وهي تربط جرح عميق برقبة هذا الكائن، ومن الغريب أن الجميع لم يعارضوها فربما يكون ذلك بسبب الصدمة، أو الدعم، أو عدم الرؤية من الأساس.

اقتربت من ريم ووضعت يدي فوق رأس ال Eryops:

- ابعد ايدك ممكن ياكلك.

- طب ما أنتِ عالجتيه!
- ده شغلي ولازم نمشي قبل ما يخف.

تحدث حسن إلى تيتو:

- هي ريم بتعمل إيه؟
- بتحمي البتاع ده اللي مش هعرف أنطق اسمه.

عاتب شاكر أخته كالعادة وعلى العكس شجعتها سارة سرا، إلى أن تحدث وليد:

- خلوا بالكم يا جماعة لإن أكيد فيه كائن جرح ال Eryops قريب من المكان ده، وأكيد الكائن ده أقوى منه.

أجبت وليد:

- أوب، أكيد صح، مين اللي ممكن يعمل كده يا حسن؟

رد حسن بغضب لا أعلم مصدره:

- هو حسن ده ساحر، عارف كل حاجة؟!

ألقيت نظرة استغراب تجاهه لم يرها بالطبع، واستمررنا في طريقنا حتى هبط الليل، وأصبح ضوء موبايلي هو شعاع النور بين الأشجار التي تحجب ضوء القمر إلى أن جلست سارة على الأرض فتحدث شاكر إليها:

- مش هتقدري تمشي شويه تاني، احنا قربنا.
- خمس دقائق طيب.
- خلاص خليكي، خليكي لو تعبانة.

تحدثت إلى الجميع:

- خمس دقائق يا جماعة وهنمشي مش هنطول عن كده احنا قربنا خلاص.

تحدث وليد:

- فيه حاجة غلط ايه هي مش عارف!

أجبته منفزعا:

- بس بقى بس، كفاية يابني، كل حاجة غلط أصلا.
- انتو بتعاملوني كده ليه ده أنا القائد على فكرة.
- أيوة أنت خارق.

تحدث شفاط:

- أنا وحشني الفلامنكو أوي.

ضحك تيتو:

- اسمه فلامنتو، أنت جعان ولا ايه؟!

أجبت تيتو:

- اسمه فلامديو يا حبيبي.

جلس الجميع على الأرض، وجلس بجواري وليد، تأملت ريم بعض الوقت فتحدث وليد:

- أعتقد إنك لازم تحكيلها اللي في قلبك محدش ضامن هنعيش ولا لا.
- أنت شايف كده؟!
- لقد كان لي صديق يحب البرتقال بشدة، وبعد أن انتظره من آخر إبريل إلى موسم حصاده في ديسمبر قرر أن يأكل الكثير منه، ولكنه كلما اشترى لم يرد أن يأكله ويحتفظ به إلى بعد إبريل حتى يكفيه طوال موسم غيابه، وبعد أن انتهى إبريل فسد كل البرتقال معه بسبب انقطاع الكهرباء فلم يستفد به أثناء موسم حصاده أو بعده.

- انا تهت منك طب ليه ماملاش الديب فريزر عنده وبعدها اشترى وأكل براحته وليه حكالك قصة زي دي أصلا وإيه علاقة ده بموضوعي؟

نظر وليد لي ببشرة مبللة ثم نظر إلى الأرض وأخرج النوتة الخاصة به ثم نظر إلى الأسفل:

- بص كده بص.

كائن مفصلي صغير له أربعة رؤوس يسير بالقرب منا، فسألت حسن:

- ايه الكائن ده يا حسن؟
- فين ده؟

قمت بتصويره وأعطيته الموبايل:

- ايه ده؟! ده ماكانش فيه في العصر ده كائن كده

يبدو أننا لم نكتشف حفرياته بعد.

- بومباستك، هتشيله ازاي؟!
- نشن ايدي ناحيته.

أخرج حسن علبة بلاستيكية جاء بها من العصر الحديث ووضع الكائن الصغير بها، ثم ناديت على الجميع وأكملنا مسيرتنا حتى وصلنا الى المكان الذي كنا فيه:

- ده المكان اللي شوفنا سعيد فيه المرة اللي فاتت، المفروض نعمل ايه بقى دلوقتي؟!

تحدث وليد:

- بما إني القائد فأنا شايف أن احنا المفروض نتفرق حوالين المكان وبعد ساعة نتجمع هنا تاني، أكيد حد فينا هيكون لاقاه.

رد شاكر على وليد غاضبا:

- يعني يا عم القائد هو أي واحد فيكم لوحده يقدر عليه؟

تحدث شفاط:

- أه أنا أقدر.

تحدثت أيضا:

- وكمان نفترض حد لاقاه ومسكه هيقعد بيه ساعة هنا مستني الباقي يرجعله؟!

بلع وليد لعابه ونظر إلى الأرض فسمعنا صوت سعيد من فوق الشجرة:

- جايين تاخدوني، أنا جاي معاكم.
- بومباستك فانتستك.

الفصل السابع: سم الماضي

نصارع برغم يقيننا بمصيرنا المحتوم، نصارع من أجل اللا شيء، نحن زائلون في أقرب وقت، وإذا أبقى الزمن أجسادنا البالية حتى العصر الحديث، الذي كنا نعيش فيه، سنكون عبارة عن أحافير، وفي نفس الوقت سوف تلدنا أمهاتنا مرة أخرى لنأتي إلى هنا ونموت ويعيد الزمن نفسه بنا في دائرة مفرغة ليس لها بداية أو نهاية؛ فنتظاهر أننا نختار وأن وجودنا في هذا العصر نابع من اختيارنا الحالي، ولربما هذا خطأ نسبي، فنحن نختار فعلا مرة واحدة وندور في نفس الفراغ دون أن نستطيع اختيار شيء آخر.

ربما أتيت إلى هذا العصر من قبل، مرة، مرتين، خمسين وأنا لا أعلم أبدا، ربما اختياري الحالي هو شيء جبري اخترته مسبقا، إذا انتهيت الآن فسوف أمكث ٣٠٠ مليون عام حتى تلدني أمي مرة أخرى، لا أعلم شيئا عن الماضي، ناسيا كل شيء وغير واع بوجوده، إنها الكارما، اللعنة على عقلي! توقف عن التفكير وتظاهر بالسذاجة حتى تمر هذه الفترة؛ فلربما سعيد يفعل ما يطلبه منه الفلامديو ويساعدنا في العودة بعد ذلك. ولكن كيف سيساعدنا إذا لم يأتي ماندو من الأساس؟

لقد ماتت المجموعة السابقة في هذا العصر وسوف تلدهم أمهاتهم بعد ٣٠٠ مليون عام غير متذكرين أي شيء ليأتوا إلى هنا مرة أخرى ويقابلهم الفلامديو مرة أخرى، إذن الفلامديو له عدة حيوات هو الآخر؛ وإلا كيف سيقابلهم عدة مرات في نفس الوقت؟! اللعنة!

هل يمكن لفلامديو أن يتذكر اللغات لمدة ٣٠ مليون سنة، ونكون نحن نفس المجموعة السابقة، وانتهينا ثم عدنا من جديد وهو يتذكر كل شيء،

ما هذا؟! لقد أصابني الجنون. يجب أن نعود إلى فلامديو حالا ونسأله عن ذلك فربما هو متأكد بأن ماندو لن يأتي لأننا انتهينا من قبل ولم يكن معنا. ما هذا الهراء!

إذا كانت الحياة دائرية فعلا والزمن هو الدليل فلا أحد يستطيع أن يتذكر الحيوات القديمة وتكون بعض المواقف فقط عبارة عن déjà vu ولن يتذكر أي كائن التفاصيل أو اللغات والأرقام مهما كان ذكاؤه؛ وربما الحياة ليست دائرية وإذا انتهيت في هذا العصر يتم ولادتك ميتا في العصر الحديث نظرا لانتهائك من قبل. جميع الأسئلة التي ليس لها إجابات تدور في رأسي إلى أن رأيت كائن ال Anthracosauria يأكل إنسانا وما زالت قدمه في فمه فصرخت سارة:

- ايه ده هو بياكل مين؟

هرولنا جميعا واختبأنا خلف الشجر فيما عدا سعيد الذي اقترب منه ووضع يده فوق رأسه، ناديت على جميع أسماء أصدقائي، وكلهم حاضرون، لم ينقص أحد، سأل شفاط:

- عو كل مين وماكلش سعيد ليه؟

تابعه تيتو حائرا:

- مفيش حد غيرنا ايه الهزار ده، هو كل مين؟

رد شاكر:

- ماندو؟!

أجابت سارة مصدومة:

- Shit

تدخلت في هذه اللحظة:

- يا جماعة ماندو ماجاش معانا.

نظرت سارة بصدمة أكبر من الصدمة الأولى:

- What!

تابعها شاكر:

- ازاي يعني؟!

استنكر وليد:

- لا ماندو مايعملش كده!

تحدث تيتو: عرفت منين؟

يركب سعيد على ظهر ال Anthracosauria ويأتي سريعا، حاولنا الهرب فتحدث إلينا:

- ماتخافوش ماتخافوش مش هيعملكم حاجة.

توقف الكائن أمامنا دون أن يفعل شيئا فتحدثت إلى سعيد:

- هو أنت هتروح عند فلامديو بيه؟

- عندك مانع يا ضنايا؟!

نظرت إلى ال Anthracosauria فعجز لساني عن النطق وتحدث شاكر إليه:

- عرفت إن ماندو مجاش معانا وهنفضل هنا على طول؟!

- ماندو لسه صاحبي واكله دلوقتي، انتو ماشوفتوش ولا إيه؟!

ضربة أصابت قلبي حزنا على ماندو أكثر من فقدان الأمل في الرجوع، لقد ظننت به السوء ولم يكن كذلك، لقد أعماني فلامديو. استكمل شاكر حديثه:

- ازاي يعني؟ يعني الزرار معاك!

- الزرار مع الفلامديو هو اللي قالكم إنه مجاش صح؟!

نظر الجميع لي منتظرين ردا فتحرك وجهي إيجابا دون أن أتحدث بسبب الصدمة، تحدث حسن إليه بسخرية:

- ومين اللي قالك الكلام ده بقى؟

صوت يأتي من فوق غصن الشجرة:

- أنا.

كائن فلامديو آخر ولكنه مختلف بعض الشيء من حيث اللون؛ فهذا الفلامديو لونه أخضر وله ذيل طويل، نظرنا إليه بعيون فقدت الثقة في قدرتها على الرؤية الحقيقية، تحدث إليه شفاط:

- أنت تقرب لفلامنكو صاحبنا؟

- أخوه يا حبيبي.

هبط الكائن من فوق الشجرة وسار بنا إلى مكان يمتلئ بالعديد من الفلامديو الاخضر:

- دول كلهم عيلة الباشا اللي انتو كنتوا معاه بس للأسف هو خانهم.

رد وليد متعجبا:

- خانهم ازاي؟

- الموضوع كبير مش عارف ابتدي منين.

رد شاكر:

- اختصر يعني ماتحكيش من وأنت بيبي.

اعترض حسن على كلامه: لا احكي بالتفصيل.

رد الكائن:

- لا يا بابا أنت وهو، أنا محدش يقولي احكي ايه وماحكيش ايه، اللي مش عاجبه يغور في داهية.

همس تيتو في أذني:

- ايه المعاملة الزبالة دي؟!
- شكلنا داخلين على أيام سودة، هو وليد السبب قاللي حاسس بحاجة غلط، وكل ما يقول كده بتحصل كارثة.
- بيعرف يتوقع البلوة قبل ما تحصل.
- مابيتوقعهاش ده بيجيبها.
- نيهاهاهاها.

تحدث الكائن إلينا:

- ها خلصتوا كلام ولا أستنى أهلكم شوية كمان.

أتمنى لو أستطيع أن ألقي قنبلة في فم الكائن الحقير.

- من واحنا صغيرين كنا ...

توقف الكائن عن الحديث فجأة دون أي سبب واستمر هكذا لفترة. تحدث وليد إلى تيتو:

- هل فقد القدرة على النطق؟
- ده بوقه مفتوح، روح تف فيه كده شوفه هيتحرك ولا لا.
- لا يا عم هيضربني.

ينظر حسن في مكان آخر، فهو معتمد على حاسة السمع فقط وفقدها الآن.

- هو مشي؟!

ردت عليه سارة:

- ألف سلامة عليك.
- بس أنا ماكحتش.
- يا ريتك كحيت كانت هتبقى أهون من السؤال ده.

تحدثت إليهم:

- بس أنا حاسس إن الفلامديو ده والتاني مختلفين.

استكمل الكائن كلامه:

- مختلفين، من واحنا صغيرين كنا مختلفين.

لقد انتظر الكائن كل هذا الوقت لكي يجد الكلمة المناسبة التي سيسمعها بسبب ضعف لغته. قاطعه شفاط:

- متخلفين ازاي؟
- مش فاهم معنى اللي أنت قلته بس أنا قلت مختلفين مش متخلفين، سيبني أكمل بقى يا ضنايا، كنا مختلفين في حاجات كتير، أنا كنت بحبه وبحب أهلي كطبيعة أي كائن حي، وهو ماكنش بيحب حد وده خلاه قاسي جدا علينا.

سألته ريم:

- عمل ايه يعني؟

رد سعيد بغضب:

- ماتتنيلوا تسيبوه يتكلم وهتعرفوا.

قاطعته بغضب أشد من غضبه:

- ماتعليش صوتك عليها أنت سامع.
- أنت بتكلمني أنا كده؟!
- أيوه بكلمك أنت.
- أنا هسكت احتراما للفلامديو وهنتحاسب بعدين.

رد الكائن:

- لا خلاص أنا مش هكمل.

رد شاكر:

- ماتكملش مش فارق معانا، كده كده هنموت.
- مش هتموت وهترجع لو سمعت كلامي.

تحدث شفاط:

- معلش احنا آسفين، عو مايقصدش، عنسمع خلاص.
- عدم حبه ليا ولأهلي خلاه يعاملنا وحش جدا بس مكانش قادر يستغنى عننا لأننا...

صمت الكائن مرة أخرى فأنقذه شاكر:

- مصدر قوة له.
- بالظبط ومش هيقدر يعادينا، لغاية ما قابلنا ناس شبهكم كده، أنا وهو وأمنا بس اللي اتعلمناه لغتكم وحصل ده في تلت أيام، وبعدها سيادته خاف نستفيد بعلمكم احنا كمان، طمع فيه لوحده بعد ما لقى أن الاختراعات اللي وصلتولها ممكن تحميه مننا لو حاربنا.

تحدث شفاط بحزن:

- يعني فلامنكو طلع شرير.
- اتصدمت؟! ولسه هتتصدم أكتر لما تعرف باقي القصة.

ضفدع ضخم يمر من جانبنا فأصدر الكائن أمر لسعيد:

- اصطاد الضفدعة دي لأصحابك.

أخذ سعيد كائن ال Anthracosauria وهرول به خلف الضفدعة، ثم أخرج سكينة وطعنها حتى الموت ثم أحضرها لنا:

- كلوا.

نظرنا جميعا نظرة مشمئزة، ولا نعلم ماذا يجب أن نفعل.

تحدثت بصوت مبحوح:

- مبحبش الضفادع.
- ماتاكلش، أنت هتتنك، ده فيه دول في الزمن بتاعنا بياكلوها.

نظر سعيد إلى وليد فتحدث:

- أنا شبعان دلوقتي، بطني مليانة.

تحدث حسن:

- أنا هبقى آكل سمك.

استفرغت سارة على الأرض، أدارت ريم وجهها، لم يتحدث شاكر بكلمة، اختبأ تيتو خلفنا وتحدث شفاط:

- هناكلها ناية؟
- ليه شايفني خرتيت هنعمل نار من الخشب بس بعد ما فلامديو يخلص، واللي مش عايز ياكل هو حر.

استكمل الكائن حكايته:

- حاول فلامديو بعدها إنه يقتلنا علشان مانعرفش نستغل البشر زيه، قتل أمي وكان عايز يقتلني بس معرفش يوصلي، وعلشان عارف إني هقتله خطف أختنا وهددني إني لو ماقتلتش نفسي قدامه هيغتصبها، أنا افتكرته بيكدب فمارحتش لكنه فعلا اغتصبها وخلف منها. أكيد انتوا شفتوا بنته.

تحدث تيتو:

- اخص عليه، طلع واطي!

رد شفاط:

- فلامنكو عمل كده؟!

نظر شفاط إلى الأرض حزينا، وتحدث حسن معارضا:

- هو فيه بين الحيوانات هددنا يغتصبها أو فيه ما يمنع أن الحيوان يعمل علاقة مع أخته؟!

استكمل الكائن كلامه:

- احنا مش زي أي حيوانات، احنا حيوانات ذكية زيكم، وعندنا قيم ومبادئ، المهم قررنا أنا وكل قرايبي وأصحابي إننا نهجم عليه ونقتله، في الوقت ده كان عمل البيت الخشبي والكهرباء، ساعده في ده البشر أصحابكم اللي بعد كده قتلهم واحد ورا التاني لما مابقاش محتاجهم، وخاف أننا نعرف منهم أي حاجة.

تذكرت فلامديو وهو يتحدث لي فوق غصن الشجرة "ايه اللي تقدر تفيدني بيه يخليني أسمحلك تقعد في المكان بتاعي"

- وليه مش قادرين تكسروا البيت ده؟

استكمل الكائن كلامه:

- لإن طول ما الباب بتاعه مقفول أي حد هيقرب منه كهرباء.

قاطعته:

- قصدك هيتكهرب.

- هيتكرب والباب مش هيفتح غير لما هو يديله إشارة.

تحدث سعيد بغرور:

- علشان تعرفوا إن أنا كنت صح.

تهكمت ريم على كلامهم، فهو من أنقذ حياتها في البداية:

- بس هو مكانش طول الوقت جوه وكان ساعات بيخرج، هو جابنا من بره المكان اللي هو فيه أصلا.

- مانقدرش نموته لسبب، إنه زي ما قدر يكسب البشر اللي قبلكم ويكسبكم، قدر يكسب الحيوانات في صفه وعمل معاهم عهد مقابل حمايته، احنا الطبيعي إننا بنصطاد منهم وهما بيصطادوا مننا بس محدش فيهم اتحالف ضدنا.. كلها حالات...

توقف الكائن عن الكلام فاستكمل له وليد:

- فردية.
- كلها حالات فردية لكن لو قتلناه كانت حيوانات الكوكب كلها هاجمتنا.

تحدث شفاط:

- يعني دلوقتي عتموتوه؟!
- دلوقتي هو فسخ العهد لما قتل ال...

تحدث حسن:

- Blattoptera
- والغابة كلها شافته وقالوا لبعض وهما اللي عايزين ينتقموا دلوقتي.

تحدثت إليه:

- وايه المطلوب مننا؟
- هتدخلوا تقفوا على الباب الخشبي علشان مايقفلش وندخل منه.
- وهنستفيد ايه؟
- فلامديو لقى ماندو من فترة وكان مخبيه منكم علشان تفضلوا تساعدوه وبعد ما العهد انتهي خرجه بره بعد ما خد منه الزرار علشان مايحاولش يرجع ويجيب بشر من الزمن بتاعكم يقتلوه.

تعجب شاكر:

- يعني الزرار مع الفلامديو طب مش ممكن يهرب بيه؟!
- لو راح زمنكم هيتقتل او يتحبس في..

استكمل شاكر:

- قفص!
- اه فمش هيعمل كده.

نظر وليد بقلق وتساءل:

- طب هو فين ماندو؟
- اسأل كده ال Anthracosauria طعمه كان حلو ولا لا.

نظر الكائن إلى ال Anthracosauria ويبدو أنه يتحدث معه.

- بيقولك طعمه وحش؟!

حزن عميق اشتعل بداخلنا وأدمعت عيني دون قصد، عين ريم تخترق جدار عيني وتواسيني دون كلام، ولكن لا يوجد شيء يستطيع أن يقلل حزني الآن، لاحظت سارة عيون ريم فجلست بجواري واحتضنت رأسي بين ذراعيها حتى أبعدت ريم عينيها عني ونظر شاكر لي بغيرة:

- كلنا هنموت.

ابتعد وليد عن المكان كاتما دموعه، وبعد أن انتهي تيتو من مواساتي ذهب خلفه والحزن يسكنه أيضا. أشعل سعيد نارا وضع بها الضفدع العملاق، وانضم إليه شفاط حزينا ثم ذهب خلفهم شاكر ويد سارة تحتضن رأسي، وعيني تتأمل ريم الجالسة أمامي وحيدة يغزوها التوتر، الذي يجعلها تحرك قدميها سريعا، وتضرب بها الأرض بصورة متتالية.

- روحي يا سارة شوفي وليد كده.

نظرت سارة لي مصدومة بعض الشيء:

- Okay hun

ذهبت سارة واقتربت من ريم، التي حاولت الهروب، فجلست بجوارها وأمسكت يديها:

- أنا بحبك.

نظرت ريم إلى عيني تتأملهم ذهابا وإيابا، والبكاء لم يفارقهما بعد فاستكملت كلامي:

- مابيكدبوش وعمرهم ما كدبوا عليكي، أنتِ الوحيدة اللي حبيتها بجد في حياتي.

انفجرت ريم في البكاء بصوت أعاد جميع أصدقائنا، فاحتضنتها بشدة، دون أن أعير اهتماما لأي منهم، فالجميع حولنا ولكني لا أشعر بهم ولا أراهم وهم بدورهم صامتون أثر الصدمة.

- ماتعيطيش أبوس ايدك وسامحيني.

بكاء آخر من الناحية الأخرى، إنها سارة التي ابتعدت مسرعة بعد رؤيتها ذلك وسماعها هذه الكلمات وسط أعين الجميع، ذهب وليد خلفها واقترب مني شارب يحمل غضبا شديدا:

- مش قولتلك ماتجيش جنبها.
- بس أنا مش همشي من جنبها تاني خلاص.
- طب قوم وريني نفسك.
- مش هضربك برغم غتاتك لإنك اخوها.

نظر حسن إلى تيتو:

- هو فيه ايه؟!
- روح اصطاد سمك يا زيزو.

تحدث شفاط:

- شاكر زعلان علشان كيمو كان بيتحرش بأخته.

انفعل تيتو:

- بيتحرش ايه يا عم الغبي، اسكت اسكت.

أمسك شاكر بي غصبا لكي يبعدني عن أخته؛ ولكنني لم أتركها.

- ابعدي ايده يا هانم.

لم تستجب ريم إلى كلامه وبدورها احتضنتني أيضا، ضربني شاكر بقدمه كي أبتعد ولكن دون أي جدوى فأعاد ذلك حتى اقترب الجميع منه لكي يبعدوه.

- محدش يكلمه سيبوه.

ضربه حسن وأبعد بينهم تيتو.

- بقولكم سيبوه.

سحبني شاكر من بين يديها وضربني عدة ضربات:

- لو قربت منها تاني هقتلك.

انفعلت ريم عليه لأول مرة في حياتها:

- مش من حقك تقول مين يقرب مني ولا لا، مش من حقك تتحكم فيا، مين يبقى معايا ومين مايبقاش ده اختياري أنا، أنت مالكش إنك تختارهولي.

وقف شاكر مذهولا كالأخرس، لا يعرف ماذا يقول أو ربما لم يعد يشعر بلسانه:

- مش معنى إنك فاشل في الحب ومابتعرفش تعبر عن مشاعرك يبقى تطلع عقدك عليا، مالكش دعوى بيا تاني وماتتدخلش في حياتي لو سمحت.

سمع شاكر هذا الكلام ثم ابتعد عن المكان، كما لو أن أحدهم يصوب مسدسا تجاهه، ويستمر في الضغط على الزناد، ثم نظرت ريم إلى الأرض خجلا وأنا أتابع الموقف بعيون متسعة، والكدمات في جسدي تجعلني أتحرك بصعوبة، فاقتربت مني ريم.

- حاسس بوجع.
- دراعي الشمال تمام.
- أنت متعرفش ايه اللي حصلي بعدما رحت مع فلامديو علشان يموتك.
- كنتِ خايفة عليا؟
- لا طبعا وأنا هخاف عليك ليه، كنت هموت بس.

احتضنت ريم مرة أخرى بسعادة لم أشعر بها مطلقا، لقد نسيت الزمان والمكان، الأشخاص والأحداث، وحاولت أن أتناسى ماندو ولكنه لم يفارق عقلي.

- أنا مش مصدق نفسي إنك بين أيدي تاني.
- طب وسارة؟!
- وليد هيهديها هو أي نعم عبيط بس في الحاجات دي ساعات بينجح.
- أنت جرحتها زي ما جرحتني.

نظرت إلى الأرض حزنا:

- سامحيني.
- لما هي تسامحك، سارة صاحبتي ومارضاش أنها تحس إحساسي لما كنت بشوفها معاك.

جاء كائن الفلامديو الجديد:

- يلا بينا كله يجمع هنا.

نادى الكائن على سعيد:

- جمعهوملي هنا.

جاء شاكر وجلس وحيدا مستلقيا على الشجرة، وبعده شفاط بقطعة من قدم الضفدع الطازج، ثم وليد وسارة التي نظرت إلى ريم بغيرة وجلست حزينة خلف الجميع، فاستكمل الكائن كلامه:

- دلوقتي انتو عايزين ترجعوا العصر بتاعكم تاني تنقلوا خبراتكم هناك وتبقوا مهمين ولا عايزين تموتوا هنا؟

لم يرد أحد إلا شفاط:

- أنا عايز أرجع أشرب بيرة.
- وعلشان ترجع وتشرب بيرة وكل واحد فيكم يعمل اللي هو بيحبه لازم نروح للفلامديو، انتو هتاخدوا الزرار منه واحنا هنعاقبه على اللي هو عمله.

تساءل تيتو:

- هتموتوه؟!
- مش شغلك ده بقى، انتو هتروحوا معاكم سعيد في الأول.. هيفتحلكم الباب هتدخلوا، وواحد فيكم هيقف على البوابة من برة؛ علشان ماتقفلش، والتاني هيقف على البوابة اللي جوه واللي هيقف من برة سعيد لإننا لسه مش واثقين في أي حد منكم.

تحدثت إليه:

- هناخد الزرار ازاي؟
- أنا هتنيل ادهولكم، فل يابا؟! يلا بينا.

تحرك الفلامديو الجديد معنا وخلفنا معظم الحيوانات، ثم تحدث حسن إلى تيتو:

- ده مفيش فيهم ولا كائن صغير مالوش حفريات كويس إني لقيت ده.
- يا عم هو أنت شايف حاجة؟

يستمر موبايلي بالتقاط الصور والفيديوهات التي لن يستطيع أي إنسان أن يلتقطها، ووليد يتابع كتاباته الغزيرة في وصف دقيق للكائنات قد ينساه حين يبعد عينه عنه، ولكن ريم توقفت عن تجميع أوراق الشجر الغريبة فقد اكتفت بهذا القدر وكلما حاولت الاقتراب منها تنظر سارة إلينا حزينة فتبتعد ريم بعض الشيء، حتى اقتربنا من المكان فتوقف الفلامديو الجديد وتوقفنا خلفه.

- هتكملوا انتو واحنا هنيجي بعدكم بشوية، سعيد هيقف على الباب اللي برة وأنت على الباب اللي جوه.

أشار الكائن إلى شاكر.

- لو فكرت تبعد عن الباب هيقتلك ولو ماقتلكش كلنا هنقتلك، اتحركوا.

تحركنا باتجاه الفلامديو دون أن أدري هل نحن نخونه أم هو يستحق كل هذا؟!

تحدث شفاط:

- صعبان عليا.

رد سعيد عليه:

- ده قتل أمه واغتصب أخته وسرق بنتها منها.
- يستاهل اللي عيحصلوا.

تحدث شاكر بصوت غير مسموع:

- القطط بيغتصبوا بعض في الشارع.

اقتربنا من البيت الخشبي فوجدنا الباب مفتوحا لنا، دخلنا جميعا، فيما عدا سعيد وشاكر وقفوا أمام الباب حتى لا يتم إغلاقه خلفنا، وبالفعل أصبح الباب مفتوحا لجميع وحوش الغابة. بحثنا عن الفلامديو كثيرا حتى وجدناه بين الشجر ممسكا بابنته.

- قفشتوا سعيد، برافو عليكوا، أشباح العالم.

رديت عليه:

- جايلك دلوقتي ماتقلقش.

ابتسم فلامديو ونظر إلى ابنته ويبدو أنه يحادثها.

فقاطعه شفاط:

- قتلت أمك يا اسطى؟

- مين اللى حشر في دماغكم الكلام ده، الشلامديو صح؟

استغربت كلامه فحاورته سريعا:

- مين الشلامديو هو مش فلامديو زيك؟!

تدخل وليد:

- لك ما تستحق، دم ماندو مش هيروح كده.

- أنا ماشفتش ماندو، ماندو ماجاش أصلا، صدقوني الشلامديو ده بيهمبك، كل حاجة قالهالكم همبكة، هو غيران مني علشان أنا متطور عنه فعايز يقتلني أنا وبنتي.

ردت سارة:

- Really طب أنت عيلتك فين؟

- أنا تبع عائلة الشلامديو بس أنا كائن جديد حصلي طفرة جينية زي ما بتقولوا وهما خايفين إن أنا وبنتي نجيب نسل فلامديو جديد، والنسل بتاعهم ينقرض أو إني أشاركهم على سيادة الأرض أو أحاربهم بعدين؛ فاخترعوا القصة دي.
- ومين مراتك؟
- كانت شلامديو زيهم قتلوها بعد ما خلفت مني، ودلوقتي عايزين يسفلتوني أنا وبنتي علشان يقضوا على نسلنا وبدل ما يستغلوا ذكاءهم زيي خايفين مني لإني بستخدم ذكائي، برغم إني كائن مسالم مبشنيرش حيوانات زي ما شوفتوا، أنا عايز أعيش في سلام وبس. هو فين سعيد اتأخر ليه؟ اوعوا تكونوا خنتوني!

حيوانات الغابة كلها تقترب من الباب الخشبي بسرعة شديدة، تحدثت ريم:

- اهرب يا فلامديو.

نظرنا إليها جميعا بتعجب:

- اهرب يا فلامديو في البحر احنا متأكدين إنك بريء.

تحدث وليد:

- بس كده كلنا ممكن نموت.
- هنقولهم ملقنهوش.

استكمل فلامديو حديثه:

- سمك ال Edestus في البحر هيقرقشني لو شافني.
- وكل الحيوانات والحشرات اللي هنا هيقرقشوك كمان دقيقة.
- فيه حيوان معاكم هنا ممكن يقول إنه شافني وأنا بنط في البحر وشافكم وانتوا واقفين معايا.

أمسك حسن بالعلبة البلاستيكية جيدا.

- قولوا له مايبلغش.
- هيسألوه ويقول، الكائن ده صريح وأنا مش ههرب علشان مأذيكمش.

أخرج حسن الحشرة صاحبة الثلاثة رؤوس من العلبة ثم دهسها بقدمه وقفز فلامديو مع ابنته في البحر.

الفصل الثامن: عنصر مفقود

اعتقدت كثيرا أن الإنسان هو من اخترع الظلم والعنصرية، الحقد والأنانية، الكذب والنفاق، ولم أكن أعلم أن هذه الصفات موجودة منذ ٣٠٠ مليون عام، وإذا عدنا لأبعد من هذا الرقم سوف نجدها أيضا، الشر يكمن في العالم منذ أن بدأ، القوي يستغل الضعفاء والذكي يستغل الأغبياء، المعرفة ليست للجميع ليتميز المثقف الواعي ويغرق في جهله كل جاهل بالمعلومة.

أعتقد أن هناك حيوانات أقوى من الفلامديو والشلامديو ولكنهم يستخدمونهم في صراعتهم ولا يخبرونهم شيئا عن الحقيقة التي يعلمونها؛ لعل حيوان ما قد يملك بعض الذكاء الذي يجعله متطورا مثلهم ويصارعهم فيما بعد. القوة أصبحت في الاختزال، اختزال المزايا والأفكار والثروات، فمن الأسهل أن تقف في مكانك وتدهس الآخرين على أن تصعد للأعلى، فلماذا تتعلم أكثر لكي تتميز إذا كنت تستطيع أن تمنع التعليم عن الآخرين؟!

هل أراد الفلامديو أن يمنع العلم عن إخوته لينفرد بالمعرفة أم أن الشلامديو أراد أن يدهس الفلامديو قبل أن يكثر عدده ويصبح أذكى كائن في الكوكب؟ أما الآن فهو وحيد وضعيف وقد يصبح قوة منافسة محتملة إذا استمر النسل لعدة قرون.

نظر وليد إلى ريم:

- أنتِ عرفتي منين أن الفلامديو هو اللي صح.
- بعيدا عن لونه المختلف، أسلوب الاتنين مختلف في الكلام.

أكدت كلام ريم:

- صح، أنا لاحظت برضه، أسلوبهم مختلف وده يدل على أنهم ماتعلموش من نفس الناس.

فكر وليد قليلا: الشلامديو بيتكلم بأسلوب سعيد.

أجابته سارة:

- يعني سعيد هو اللي علم الشلامديو؟!

تحدثت مسرعا:

- أيوة صح ده سعيد قعد كذا يوم برة وهو آخر واحد جه هنا.

شفاط:

- ده عيل واطي.

هجم الحيوانات على المكان ومن بينهم شلامديو: هو فين؟

تحدث حسن:

- مالقناهوش، تقريبا هرب قبل ما نيجي.
- هرب؟! طب وفين الحشرة اللي كانت معاك؟

أصبح لون وجه حسن كفاكهة تسمى برتقال لا توجد في هذا العصر، ووجوهنا جميعا تحولت إلى ألوان الطيف، نظر شلامديو إلى الأرض فوجد صاحبة الثلاثة وجوه ميتة فأمسكها بيده:

- قتلتها ليه؟

تدخلت مسرعا قبل أن يقول حسن أي شيء يدمر حياتنا جميعا:

- هقولك الحقيقة، احنا جينا لقينا الفلامديو ولما لقى الحشرة دي معانا افتكرها جاسوس فقتلها وسمع صوتكم بتقربوا فنط في البحر.

- وليه يا نجم صاحبك قاللي أنكم مالقتهوش؟
- خاف يقولك الحقيقة تفتكره بيكدب بس صدقني ده اللي حصل.
- لو الفلامديو ماكانش هنا في خلال ٢٤ ساعة كلكم هتموتوا.

أخبرتهم إن فلامديو قفز في البحر لأنني أعلم أن الحيوانات البرية لا تستطيع السباحة، ولكنني تفاجأت بأن معظم الكائنات الموجودة برمائيات قفزوا في البحر، والكثير أيضا من كائن الشلامديو قفزوا خلفهم.
عاتبتني ريم:

- قلتلهم ليه يا كيمو؟!
- كنا هنموت يا ريم.

صرخات داخلية تعذبني؛ فبرغم أنني أنقذت حياته سابقا أهدرتها اليوم.
كائنات الشلامديو تسبح في أعلى الماء مثلنا، نظر زعيمهم إليهم وحدثني:

- قولولي بقى يا حلوين انتو ازاي بتعملوا ...

لم أعلم الكلمة التي يريدها فاستمر كتمثال حتى أمعنت النظر إلى كائنات الشلامديو ولاحظت عدم قدرتها على الغطس كالفلامديو فحافظت على بعض الوقت قليلا:

- خياشيم؟!
- ازاي بتعملوا خياشيم تتنفسوا بيها تحت المايه؟
- مش أنت كنت معاه وعارف أنه توصل لده لوحده، احنا مابنعرفش نعمل خياشيم.

نظر شلامديو في عيني، حيث شك بأمر معرفتي بحقيقته:

- على العموم مرور الوقت مش في صالحكم.

حشرة اليعسوب تطير فوقي بأعداد كثيرة.

- هي اليعسوب خطر يا حسن؟

- ماكانش فيه يعسوب في العصر ده، دي أكيد Meganeura ودي أكبر حشرة ظهرت على الكوكب وأكتر نوع هنا.
- خطر؟
- على حسب فيه منها أنواع وأنا مش فاكرهم بصراحة، بس المفترسة تقريبا لسه مظهرتش بس ده بحساب المتوسط يعني التاريخ مش دقيق، لكن كده كده المفترسة بتاكل حشرات مش بتاكلنا.

التقطت صور لها وجلس وليد يكتب ملاحظاته، ذهبت إلى شلامديو:

- كنت عايز أطلب منك طلب.
- وإيه المقابل؟
- هو أنت لسه سمعته؟!
- أي طلب له مقابل مش تكية هي.

أنا أكره سعيد والآن لدي ٢ سعيد أحدهم عملاق، أخرجت هاتفي وفتحت فيديو لي وأنا أعزف على الجيتار:

- هعلمك جيتار.

نظر شلامديو إلى الهاتف بطمع شديد:

- لا أنا هاخد البتاع ده.
- عارف المشمش.

تركت شلامديو وذهبت دون أن يكترث لأمري أو يسأل ماذا كنت أريد. همست إلى ريم:

- لو ملقوش فلامديو النهاردة هيقتلونا، احنا لازم نستخبى في حتة.
- أي حشرة أو حيوان هيشوفنا ويقولهم مكاننا.
- لازم نستخبى في حته مفهاش أي كائن.

- طب وسعيد؟

همست في أذن الجميع بالانسحاب البطيء المنفرد أثناء انشغال سعيد مع الشلامديو والتجمع أسفل الشجرة العالية، وبالفعل قمنا بذلك فتدخل وليد:

- بصوا يا جماعة معلشوا المرة دي أنا القائد لإني درست بعض أساليب الهروب وأقدر أنفذها.

قمت بإحباطه كالعادة:

- أه أنت خارق.

ذكر وليد أسماءنا جميعا للتأكد من وجودنا:

- كده كله هنا كيمو تيتو شاكر شفاط سارة ريم، يلا بينا.

نظرت إلى وليد:

- حاسس بحاجة غلط ولا بحاجة صح؟

- بحاجة صح مع غلط.

تحدث تيتو:

- فل فلافيلو.

انتقلنا بعيدا عن المكان دون أن نرى أي حيوانات أو حشرات حتى الآن. نظر وليد إلى بعض الأشجار المرتفعة:

- عايزين نمشي تحت الشجر الطويل علشان مفيش كائنات تشوفنا.

أخذت ريم بعض أوراق الشجر الذابلة فقررت أن أسأل حسن عن اسم الشجرة:

- أوب، هو فين حسن يا جدعان؟

شعر وليد بالصدمة:

- حسن صح ايه ده!

- هو أنت مش تأكدت إن كلنا كاملين.
- أنت مش قلتله في ودنه يجيلنا.
- ياعم نظارته مكسورة تلاقيه راح وقف ورا الشلامديو.

تحدث شفاط:

- طب ما نروح نجيبه من ورا الشلامنكو.

كل أذن لها قدرة محددة على التحمل، وغالبا تتأثر بالضجيج ولكن أذني تتأثر بكلمات شفاط التي لم تعد تتحملها بعد:

- الشلامنكو؟!

Bombastic Fantastic

أمسكت سارة رأسها وسقطت على الأرض، هرول إليها ريم وشاكر ونحن من بعدهم. تحدث القائد:

- مالها دي؟ حد يرش على وشها مايه كده.
- أنت شايف فيه مايه يا وليد دلوقتي ولو رحنا عند المستنقع ال Meganeura والضفادع هيشوفونا ويقولوا للشلامديو.

لأول مرة استغاث شاكر بعصبية:

- يعني هنسيبها تموت يعني؟

حاولت أن أعارضه لأتحقق من ردة فعله:

- نحاول معاها تاني هي أغمى عليها بس محصلهاش حاجة.

نظر شاكر لي بضيق ثم حملها فوق ذراعيه، وسار ناحية المستنقعات. ابتسمت ريم لما فعل، وذهبنا خلفه متحدثا إلى تيتو:

- احنا كده هنموت وش.
- هو أنت عندك أمل إننا نعيش!

- لا بس لو مت قبل ما حد غيرنا يشوف الصور والفيديوهات اللي صورتها دي هزعل أوي.
- معلش يا فنان، سمعت كلامي علشان أغانيك ورواياتك تتقري وهتموت قبل ما تنشرهم ومفيش أي كائن هيقرأها.
- ولا يهمك، ربنا ياخدك يا حبي.

توقف شاكر عند بعض المياه الجارية، وضع وجه سارة بها فتحدثت إلى ريم بعفوية:

- أنا اللي عرفته الحركة دي.

نظرت ريم إلى عيني بشوق عميق كأنني لم أكن معها طوال هذه الفترة، ولا أدري لماذا تستمر في النظر هكذا؟ ولكن حين أمعنت التفكير فتبادر إلى ذهني لحظة إيجاد ريم الأولى في هذا العصر، وكيف أنقذتها بنفس الطريقة، تذكرت كيف أنكرت حينها أنني من أنقذها، وأنني وجدتها فقط في هذا المكان، ثم تبادر إلى ذهني اللحظة الثانية وأنا أحملها على كتفي وأهرول بها نحو البحر حين قابلت شاكر، وجعلته يضع وجهها في الماء حتى تستفيق، لقد اكتشفت الحقيقة الآن ومع تلألؤ عيناها تتلألأ عين سارة حين تفتحها فتجد شاكر يحملها في يده بخوف وذعر تحول إلى سكينة بعد التأكد من وجودها على قيد الحياة.

الدائرة لا تدور بحياتنا الخاصة فقط فالدائرة الكبرى تدور بالحياة كلها عن طريق دوائر صغيرة متكاملة متوالية، كلنا متشابهون والاختلافات طفيفة. تحدثت عيون شاكر لعيون سارة:

- أنتِ كويسة؟
- Thanks hun

تحدث شاربه هذه المرة: العفو

تركها شاكر على الأرض وابتعد.

- عارفة يا ريم، أكتر اتنين ماينفعوش مع بعض شاكر وسارة، برغم إن الاتنين ضايعين أنا آسف.

ضحكت ريم ضحكة افتقدتها لقرون وما توقعت أنني سأراها وأسمعها مرة أخرى. تحسست شعرها ببطء، نظرت سارة إلينا ثم أبعدت نظرها سريعا وتسارعت خطواتها، فتحدث وليد:

- يلا نروح مكان تاني علشان من الخطر البقاء في هذا المكان.

قمنا بالتحرك جميعا واقتربت من شاكر: ممكن أتكلم معاك شوية.

- لا.
- سمعها كلام حلو لو عايزها تتعلق بيك.
- ده اللي عملته مع أختي؟!
- صدقني ريم كل حاجة في حياتي وماضحكتش عليها في أي كلمة قولتها، لكن سارة شخصيتها محتاجة كلام حلو، محتاجة تحس بقيمتها وتديلها ثقة في نفسها.
- طب وهي محبتكش ليه؟
- علشان كنت available طول الوقت ماتعملش زيي وحاول تلاقي مكان في النص بينك وبينها تتكلموا فيه؛ لإن هي متدلعة وأنت بتاكل صحابك أنا آسف، يعني مثلا بص، من غير ما تفهمني غلط، أنا مش متنمر بس بالنسبة لشنبك لو ناوي تربيه متضربش الناس بيه.
- أنت بتكلمني كده ليه يا عم أنت؟
- اهه بتضرب بشنبك زي ما قلت.
- أنت ماتتدخلش في شنبي ولا طريقتي أنا حر، خليك في القصة اللي عاملها في شعرك.

- أنا مابتدخلش في أشناب حد، كل واحد حر في شنبه بس أنا بقولك علشان لو حابب تكسب قلب سارة.
- مش عايز أكسب قلب حد، هي لو بتحبني هتحب شخصيتي زي ما أنا، ولو سمحت مالكش دعوى بالموضوع ده.
- أنت صح على فكرة.
- وكمان هي بتحب الشنبة.

شيء ما خلف الشجرة المجاورة لنا، يبدو أنه كائن يتجسس علينا ليخبر الشلامديو، ومن الممكن أن يكون سعيد:

- بصوا عند الشجرة كده، مين اللي هناك ده؟

خرج من خلف الشجرة شخصا مبتسما لم نتوقع أن نجده نهائيا، إنه ماندو:

- بتحب الشنبة، يابن الكلب يا معتز، وأنا اللي كنت حاسس بالذنب وقلت هاجي ألاقي اتنين تلاتة بس اللي عايشين، ما انتو كويسين وزي الفل اهه وبتتكلموا في الشنب، كنت أستنى شهر تاني ولا حاجة.

أحاسيس متضاربة لا أفهمها، هل يجب أن أشعر بالسعادة لأن ماندو حي أم يجب أن أشعر بالحزن بأنه فعل بنا كل ذلك؟ أشعر بالسعادة من أجل عودتنا التي لم تكن متوقعة أم أشعر بالحزن أنني سأترك هذا العالم؟

- هو أنت لسه جاي بآلة الزمن دلوقتي؟
- وأول ما جيت لقيتكم في وشي، معرفش ده حظ كويس ولا زبالة.

انفعل شاكر:

- أنت عبيط يالا أنت ازاي تعمل فينا كده؟

- إيه ده هو أنت لسه بتزعق؟ معرفتوش تتخلصوا منه طول الفترة دي؟ يعني أنا سايبكم ده كله وآجي ألاقيه، ايه ده سعيد فين؟

حدثه وليد باستغراب: سعيد بس اللي ناقص؟!

- وحسن، فين حسن؟!
- بتعمل فينا كده يا ماندو؟
- مقدرش يا صاحبي بس هي دي الحياة، كنت عايز أسيبكم كام يوم علشان تفهموا الدنيا هنا أكتر، وأنا كنت قاعد على قهوة زعبولة بمخمخ وأخطط في اللي جاي وقلت تاخدوا راحتكم، كيمو يكون صور حاجات كتير تنفعه، وأنت كتبت ملاحظات كتير، وحسن لقى الكائن اللي عايز يرجع بيه، وتيتو معرفش جاي ليه أصلا.
- أنت ماتجيبش سيرتي، أنا جاي support للفنان بتاعك يالا، وبعدين احنا المفروض كلنا نمسكك نطحنك.

يبدو أن ريم وافقت تيتو الرأي.

- أنت بجد أوطى واحد شفته في حياتي.
- ربنا يخليكِ يارب.

حدقت سارة في عين ماندو:

- ممكن بقى تقولنا كنت بتخطط في إيه؟
- بصراحة ماكنتش بخطط في حاجة ليكم، أنا كنت بشوف هعمل ايه بفلوس الآلة.

تحدث وليد: طب نفترض كنا موتنا يعني.

- تموتوا إيه يا جدع، تف من بقك، ما فيه شجر اهه اطلعوا فوقيه.. مفيش طيور جارحة والحشرات في العصر ده مش مؤذية ولا حاجة، ما أنا عملت أبحاثي برضه، هو أنا هاجي كده وخلاص.

تحدثت إلى ماندو:

- طب احنا شوفنا حيوان بياكل بني آدم ومفيش غيرنا، ازاي أنت عايش؟!
- ممكن يكون الراجل العجوز اللي أنا حطيته في الآلة من كذا سنة.
- أو اللي أنت بعتهم قبل كده وسيبتهم لغاية ما ماتوا.
- أنا مابعتش حد قبل كده واندهوا حسن وسعيد علشان معايا الزرار وهنرجع ونغير الواقع.

أخرج ماندو الزر من حقيبته، وحدثنا بطريقة مغرية:

- ها أكيد متحمسين صح؟!

عادت الحياة في نفوس الجميع وتفتحت الورود الذابلة التي فقدت القدرة على الحياة. بكت ريم فوجهت كلامي إلى ماندو:

- شفت عملت فيها إيه يا واطي؟!
- يا جدعان ده أنتو المفروض تشكروني، أنا مكنتش هاجي دلوقتي خالص بس قلبي ماطاوعنيش علشان بس تعرفوا أنتو غاليين عندي قد إيه.

غضب شاكر:

- وأنت مش غالي عندنا ومش عايزين نشوف وشك أصلا.
- ربنا يخليك يارب، خلاص أسيبكوا وأمشي؟
- قصدي بعدما نرجع.

تحدثت إلى ماندو: بصراحة فعلا أنا جبت آخري، كفاية كده يا ماندو، عشر سنين فل أوي.

رد تيتو:

- والله باللي بيعمله ده ما يتطاق عشر ساعات.

- ياجدعان أنتو شادين نفسكم عليا ليه؟ لا أنا مش مصدق، أنتو بتتكلموا من ورا قلبكم.

قطع وليد مسار الحديث:

- حمدا لله على السلامة يا صديقى.

احتضنه ماندو:

- أخيرا يا جدع، خش في لحم أخوك يا فواز.

أكاد أن أصعق رأسي في أي شجرة مجاورة.

- أنتو هتعملوا قلشات الأفلام دي في العصر الكربوني كمان!

- هو حسن فين بجد؟

تحدث تيتو: أكيد مخطوف.

- مخطوف ازاي يعني؟

استكملت حديث تيتو: الشلامديو أكيد خطفه.

- شلامديو؟!

عاد تيتو إلى حديثه: أه علشان عايز يقتل الفلامديو.

- فلامديو إيه؟!

أمسك وليد طرف الحديث وبدأ بالشرح:

- بص يا صاحبي، أصل الفلامديو أذكى من الشلامديو، يقوم إيه بقى التاني متغاظ وعايز يقتله.

- أنتو بتقولوا إيه!

استكمل شفاط حديث وليد:

- هو عايز يقتله عشان هو قتل الصرصار.

التقتت سارة الحوار من شفاط:

- لا الفلامديو ماكانش عايز يخون العهد بس سعيد هو اللي قتل ال Blattoptera فأصحابه قالوا للفلامديو يقتل كيمو بدلهم، بس الفلامديو شرب بيرة وقتلهم هما.

أراد شاكر المشاركة أيضا:

- الشلامديو شافهم ومعاهم كائنات كتير، أصلا سعيد اللي قال له وراح معاهم وهو راكب على ظهر ال Anthracosauria

أعتقد أن ماندو فقد قدرته على النطق أو أنه فقد لسانه من الأساس، وعقله توقف عن العمل كمحرك تالف. استكمل شفاط حديث شاكر:

- أصلا فلامديو غلبان، نط في البحر والسمكة ممكن تاكله علشان شتمها.

أكدت ريم كلام شفاط:

- أيوة هو كان شاتم سمكة ال Edestus فممكن تتفق مع أصحابها وياكلوه، وكمان البرمائيات اللي في البحر بيدورا عليه علشان يموتوه هو وبنته.

فسرت كلام ريم: الشلامديو كان بيضحك علينا ويقولنا أن فلامديو اغتصب أخته وقتل أمه علشان يخلينا ندخلهم البيت الخشبي من غير ما الكهرباء تقتلهم بس هو قالنا الحقيقة.

قاطعنا ماندو قبل أن يتحدث شخص آخر:

- يعني شلامديو خطف حسن علشان شاف الفلامديو اللي عامل كهرباء ده بيقتل الصرصار فنط في الميه والسمكة ممكن تاكله علشان شتمها؟

أكد تيتو كلامه:

- أه والحيوانات عايزين يموتوه علشان خان العقد.

صححت لتيتو الكلمة: العهد العهد.

تبدلت ملامح ماندو واصفر وجهه:

- حلو أوي الكلام ده!

سقط ماندو على الأرض وحين استفاق لم يصدق القصة حتى بعد أن سمعها بالتفصيل، ولكنه شك بالأمر حين لمح مجموعة من حشرات ال Meganeura تترقبنا ثم عادت مسرعة، فأخبرته أنها ذهبت لتخبر الشلامديو.

ابتعدنا عن المكان وما زال ماندو لا يصدق:

- حشرة وبتطير عادي، أنتو ليه عملتوا حوار.

جلسنا في مكان مظلم بين الكثير من الشجر حتى لا يرانا أحد.

سأل تيتو: طب احنا دلوقتي ازاي هنجيب حسن بقى؟

رد وليد:

- سيبوها عليا أنا القائد.

أجبته:

- اركن على جنب يا وليد.

تحدث شاكر:

- احتمال كبير يكون الشلامديو قتل حسن يبقى احنا ليه هنجازف ونروح نموت كلنا هناك وهو بنسبة كبيرة ميت؟! وممكن كمان ياخد المفتاح من ماندو ويهددنا بيه، فأنا شايف إننا نرجع دلوقتي بأقل الخسائر الممكنة.

ردت ريم:

- أنا شايفة زي ما جينا كلنا نمشي كلنا ماينفعش نتخلى عن حد فينا.
- يعني أنتِ عايزانا ناخد سعيد برضه؟!
- نقول له ولو فضل معاند يبقى هو اللي اختار.
- لا أنتِ دماغك ضربت بقى يا ريم.

نظرت ريم له بضيق فتابع كلامه: أنا آسف.

عقبت جملته سارة:

- أنا رأيي من رأي ريم، هو لازم يختار، ماينفعش نحرمه من الحق ده.

تحدث تيتو:

- ونفترض أنه سرق المفتاح أو خلى ال Anthracosauria يقتلنا.

رد ماندو علينا:

- خلصتوا، بصوا يا جدعان دلوقتي سعيد بيعمل كل ده ليه، يا ترى هو عايز يقعد في الزمن ده، لا طبعا هو مضحوك عليه مش أكتر، لكن لما يلاقي نفسه هيرجع ايه هيمنعه، أكيد ما هيصدق. هو فين شفاط؟

بحثنا عنه حول المكان فوجدناه يتسلق شجرة، ومن الممكن أن يراه الشلامديو بسهولة أو أي حيوان ويبلغه:

- انزل يا حبيبي.

لم يستمع شفاط لندائنا واستمر في الصعود حتى رأينا الفلامديو يتجه طائرا بسرعة شديدة باتجاهه، والتقطه ثم هبط ووضعنا فوق ظهره وطار بنا.

الفصل التاسع: خطة ما قبل العاصفة

نعتقد أحيانا أن خيالنا الخصب هو أروع ما يميزنا، وإننا حين نغوص فيه نصل إلى أقصى حدود اللذة والاستمتاع، نصل للكمال والنضج العقلي التام الذي لا نهاية له. فما هي درجة خيالنا؟ وهل نغوص إلى أقصى القاع أم نسبح على السطح؟ هل من الممكن أن نغوص في خيالنا دون أن نغرق أم إننا نذهب بلا رجعة في سقوط أبدي لا عودة منه؟ ولهذا السبب يخاف الكثير من الإبحار والغرق ولكنني لا أخاف ذلك، فلقد اخترت أن أغرق في الخيال إلى أبعد ما يمكنني، ورغم ذلك لم أجد أبدا في أقصى القاع الذي أسقطت نفسي فيه ما رأيته في واقعي الحقيقي الحالي.

لقد أصبح الواقع أشد غرابة ومتعة واستنارة من الخيال، وهذا ما لم أتوقعه أبدا، فأنا الآن أجلس فوق الفلامديو مع أصدقائي ويطير بنا بأقصى سرعة، أغمضت عيني حتى لا تدور رأسي وأغرق في باطن الأرض ساقطا من فوقه، وفتحتها لجزء من الفيمتو ثانية ثم أغلقتها سريعا، اللون الأخضر يصبغ المكان فالأشجار المتنوعة لا تعد ولا تحصى؛ إنها الحياة التي أشعر بها تلامس جسدي الآن، إنها الحياة التي أتنفسها وتغذي الروح بداخلي بطبيعتها الساحرة.

هبط الفلامديو في مكان ضيق بين الأشجار المرتفعة بجوار ابنته، فهبطنا من فوقه ونظر له ماندو بخوف ثم نظر لي:

- هو فيه ايه؟!

رد الفلامديو:

- أنت ماندو اللى كانوا هيبيضوا علشان يلاقوه؟

- ايه الهبل ده!

تحدثت إليه:

- صدقتنا دلوقتي؟!

أدار الفلامديو وجهه لي:

- أنتو اللي صدقتوني لما قولتلكم إني مشفتهوش وإن الشلامديو بيهمبك عليكوا؟!

ردت ريم:

- هو احنا لو مصدقناكش ساعتها كنا سيبناك تمشي؟!
- مانا مش هقدر أفلسع كتير، الغابة كلها بتدور عليا.

تحدث ماندو إلى فلامديو:

- بقولك ايه اعتمد عليا وسيبك منهم وكل حاجة هتبقى كويسة، أنا لغاية دلوقتي مش مقتنع إن أنا بكلمك وأنت فاهمني أصلا بس اشطه ماشي.
- طب وأنا هقدملك ايه مقابل مساعدتك دي؟
- يا جدعان مش مصدق يا جدعان، مش عايز منك حاجة يا عم ما أنت معاكش فلوس علشان أعمل عليك مصلحة، ولا عندك واسطة يعني خالك مش شغال في السفارة وهيتوسطلي مثلا، اعتبرها جدعنة.

تحدثت إلى ماندو: وأنت هتساعده إزاي يا نجم؟

- يا عم أنت صدقت مش لما نساعد نفسنا الأول.

نظر فلامديو إلى ماندو بحزن:

- يا عم ماتزعلش هحاول هحاول، والله أنا لو أعرف إنك هنا كنت جيت من فترة قعدت معاك شوية.

- شكلك حد عسلية.

ضحك ماندو:

- عسلية، والله ما مصدق بص أنا هفكني منهم وأرجعك معايا نقعد على قهوة زعبولة سوا.

تحدث تيتو إلى ماندو:

- يعني هتبيع الآلة ويبقى معاك فلوس قد كده وتروح تقعد على زعبولة؟!
- أنت هتنق يا صاحبي؟! وبعدين يعني آخد الملايين دي أصرفها كده على الشاي والقهوة؟ مالها زعبولة فيها كراسي وتلفزيون والشاي بتلاتة جنيه، عايز ايه تاني من الدنيا.

ضحكت سارة:

- You are so funny hun

نظرت إلى عين شاكر وأبعدتها سريعا خوفا من أن أحترق بنيرانها، همس ماندو في أذن تيتو بصوت ظنه غير مسموع.

- هو يعني ايه hun دي؟
- على أساس إني فهمت اللي قبل كده، ممكن يكون معناها أهبل أو عبيط، حاجة كده.

نظر ماندو له بغضب ثم نظر إلى سارة:

- الله يخليكي يارب.

عقارب الساعة لم تتحرك في الليالي السابقة ولكن في هذه الليلة أصبحت تدور كما لو أن أحدا يحركها بأقصى سرعة وسيقتلنا الشلامديو في نهاية اليوم، حين يجدنا وبالطبع سيبدأ بالأسير الذي معه.

قاطع ماندو حبال أفكارنا البالية:

- بصوا يا جماعة احنا مش لازم نخاف، احنا معانا الزرار يعني هنقدر نرجع في أي وقت، احنا هنعمل اللي علينا علشان نجيب حسن بس لو مقدرناش نجيبه وحسينا بالخطر هندوس على الزرار ونعيط عليه شوية بعدين وخلاص، يعني احنا كده كده في أمان ماتقلقوش.

لم أقتنع بأي أفكار تدور في عقل أصدقائي، ولكن كلام ماندو منطقي معظم الوقت لا أستطيع أن أرفضه، ولكنه لا يحدث أبدا.

تحدث فلامديو إلى ماندو:

- طب وأنا يا بوب؟
- واحنا مالنا يا فلامديو، ما احنا مش هنقدر نموت كل الحيوانات علشان ننقذك وحتى لو نقدر أكيد مش هنبوظ العالم، احنا في الماضي يعني لو واحد عطس المستقبل بيتأثر، ودول ٣٠٠ مليون سنة مش ٣ سنين.
- يعني زحلقتني خلاص؟

تحدث شفاط:

- عنساعدك يا فلامنكو ماتخافش.

رد فلامديو بغضب:

- أنا مش خايف ومش محتاج مساعدة خالص، أنا أقوى وأذكى منكم وأقدر أنقذ نفسي لوحدي.

رديت على فلامديو:

- بطل كذب بقى، ده أنت طلعت كائن أونطة، اقعد اقعد.

ضحكت ريم فاستكملت كلامي:

- والله لو أعرف إنك هتضحكي كنت شتمته من بدري.

لقد استعدت لقطة افتقدتها لعصور داخل عقلي، قد تزداد عن الفترة بين حقبة الميسوزي وظهور الهومو سابينس.

نظر لي فلامديو بغضب، وماندو باستغراب ثم تحدث الأخير:

- هو الكلام على إيه؟
- بس يا حبيبي.
- ماشي يا عم الله يسهله.

أمسك فلامديو ابنته ووضعها على ظهره مستعدا للرحيل، فتحدث تيتو:

- استني طيب.
- مش عايز.

تحدث وليد:

- انتظر يا فلامديو.. أرغب في الحديث معك من فضلك.
- عايز إيه؟

تحدث ماندو: هو أنت فهمت لغة وليد ازاي؟

- مافهمتش حاجة بس أكيد عايز حاجة فبسأله.

تحدث وليد:

- دلوقتي الحيوانات دي كلها عايزة تموتك علشان خنت العهد وقتلت حشرة في حياتك كلها، برغم إن شلامديو بيصطاد فيهم ويقتلهم لكنهم متحالفين معاه ضدك، ممكن تفهمني ازاي!

أبهرني وليد بسؤاله الذي لا إجابة له وحرك شاكر فمه:

- أه صح!

تحدث ماندو: هو ده وليد لما يفكر يا جدعان.

- شكرا لإيمانك بقدراتي.

- لا فكك من الجو، أنت تتكلم معايا عامية ولا أنت نسيتني ولا ايه.
- مين! ماندو ابن جهتي!
- وليد ابن حتتي!
- أنت ايه يا بني اللي جابك هنا، ومين اللي ربطك الرابطة السودة دي، ده حمار ايه ده!

اختفى انبهاري بسؤال وليد، وتدخلت لأنهي سيناريو قد يطول لنهاية الفيلم وأعيد إلى فلامديو عقله الذي كاد أن يفقده:

- ممكن تسيبوا الراجل يتكلم، قصدي الكائن، سوري يا فلامديو، قولنا ليه متحالفين مع شلامديو ضدك؟
- شلامديو مابيقتلش حيوان ويسبب حيوان شايفه صاحي وحتى لو عمل كده، هو ماعملش عهد مع حد بس أنا طلبت منهم إنهم يفكوهم مني أنا وبنتي، واحنا مانقربش منهم برضه بس شحورتهم في الآخر.

تدخلت سارة: Crazy animals

تكلم شفاط بعفوية:

- طب ما احنا نقول للحيوانات إن فلامنكو طيب وشلامنكو شرير.

رد ماندو:

- ايه يا عم الكلام ده هتكلمهم ازاي أصلا، يعني فلامديو هيروح يقولهم فلامديو كويس، أكيد مش هيصدقوا وممكن يقتلوه أو يبلغوا شلامديو عن مكانه.

اعترضت على ماندو:

- شفاط بيتكلم صح على فكرة واحنا ممكن نجرب الحوار ده مع الحيوانات الضعيفة في الأول ولو حسينا حد هيبلغ نغير مكاننا.

تحدثت ريم:

- أنا موافقة على الكلام ده جدا.

تحدث ماندو مع نفسه بصوت ظنه غير مسموع:

- اه ما أنتِ لازم توافقي.

رد تيتو:

- وأنا مع رأي الفنان.

اعترضه وليد:

- مبدئيا هو رأي شفاط مش كيمو وأنا بصفتي القائد موافق عليه.

نظر ماندو للجميع:

- وأنا تمام.

رفعت سارة يدها:

- Deal

نظرت إلى شاكر:

- No deal

تعجبت من اعتراضه غير المبرر: ليه؟

- مش عندنا وقت لده كله.

رد الفلامديو:

- المشكلة الحيوانات أغبياء، علشان أعمل معاهم العهد تعبت جدا مع إنه في مصلحتهم؛ لإن النوع بتاعي فردين بس لكن هما كتير، ازاي هقنعهم دلوقتي وأنا في موقف الضعيف؟!

تحدثت سارة:

- Let's try

خرجنا جميعا نبحث عن أي حيوان قريب، وجدنا كائن صغير من الزواحف طوله ٤٠ سم، لديه ثقوب في الجزء الخلفي من الجمجمة الممدودة قليلا، أطرافه طويلة ونحيلة بالمقارنة مع الزواحف الأخرى التي رأيتها، أخذت له صورة بهاتفي، أعتقد أن وليد وصفه تفصيليا في مذكرته كعادته كأحد علماء الأحياء.

طلب فلامديو أن أتحدث معه ويترجم لي، ولكنني أشعر بالاشمئزاز بعض الشيء من الزواحف، وخصوصا هذا الكائن لأنه يشبه الوزغة الموجودة في العصر الحديث.

- ازيك؟ عامل ايه؟
- ماردش عليك؟

بما أن هذا الحيوان يرى نفسه أفضل مني ولا يريد التحدث معي سوف أدخل في الموضوع مباشرة:

- ممكن تقولي هتستفيد ايه لما تسمع كلام شلامديو؟
- بيقولك أنت عايز ايه؟ هو مش فاهمك على فكرة.

كيف أستطيع أن أبسط كلمات بسيطة؟ ماذا أستطيع أن أفعل؟

تدخل وليد: ترجم يا فلامديو.

ماذا ستفعل إذا أصبح الجميع ضلوع في جسد قوي يتحكم فيه شخص سيء؟

- أنا مفهمتش الهلهوطة اللي بتقوله ده وعايزه يفهمك.

تركنا الكائن وذهب فاستغرب وليد: هو مشي ليه؟

رد فلامديو:

- طب اسأل شفاط السؤال اللي أنت سألته ولو جاوبك ابقى استغرب.

نظر ماندو إلينا بتركيز:

- شفاط .. صح .. شفاط هو اللي يكلمهم علشان هيقدر ينزلهم بتفكيره لإنه مش هينزل كتير.

رد تيتو:

- ده هما اللي هيطلعوله نيهاهاها.

ردت سارة:

- That's a good idea

جاوبها ماندو:

- لو مش عجباكي خلاص ممكن نشوف حاجة غيرها.

ضحكت سارة:

- ده أنت ضايع.
- ربنا يخليكِ يارب.

رد وليد على ماندو:

- طول عمرك بتفكر غلط، أنا مش عجباني دماغك دي، أنت بتحلق فين؟!

ضحك ماندو على إفيه الفيلم:

- يا ابن الايه! جامد.
- تلميذك.

أستغرب وليد أحيانا، فهو إما عميق للغاية، وإما سطحي للغاية، كما أن ماندو نجح في اختراق شخصيته المتزنة وزرع بعض بذور الخلل فيها دون أن أدري كيف استطاع أن يفعل ذلك؟ تركتهم ونظرت إلى سارة فوجدتها تتحدث مع شاكر، أما ريم فتجلس وحيدة، أتمنى أن تعود علاقتي بها كما كانت من قبل؛ فبرغم أن الأمور تحسنت كثيرا إلا أنني أشعر

أن هناك شيئا ناقصا فربما لم تعد تثق بي أو تشعر معي بالأمان، لم أذهب إليها، وتحركنا جميعا بحثا عن حيوان آخر فوجدنا ضفدع وذهبنا إليه، تحدث إليه شفاط وترجم فلامديو للطرفين فأصبح الحوار كالتالي:

- أنت بتدور على أكل؟
- أه أنا جعانة ومش لاقية أكل.
- وأنا كمان جعان بس فيه مكان أنا عارفه فيه أكل كتير.
- فين المكان ده؟
- هخليكي تاكلي منه ومش هاكل معاكي علشان أنا حد كويس.
- أنت طيب اوي، ممكن نبقى أصحاب؟
- أه ممكن طبعا.
- بس هو أنت ليه مصاحب فلامديو وهو شرير، وبعدما قال إنه مش هيقتل فينا، قتل ال Blattoptera.
- أنا مش مصاحبه بس هو الوحيد اللي ممكن يخلينا نتكلم سوا علشان احنا مانعرفش لغة بعض.
- ممكن شلامديو يعمل كده برضه.
- شلامديو شرير عايز يموتني.
- بجد؟! بس فلامديو ممكن يموتك برضه ويموتني.
- لا ده هو بيحبنا وهو اللي قال لي على المكان اللي فيه أكل علشان أقول لك عليه.

تدخلت ريم في الحوار وجعلت فلامديو يترجم لها:

- أنتِ ضفدعة قمورة أوي.
- وأنتِ كمان قمورة.

وصف لها فلامديو المكان من تلقاء نفسه دون أن يترجم لشفاط؛ فالأخير لا يعلم أماكن ثم ذهبت الضفدعة سعيدة أملا أن يلتقوا مرة أخرى.

قمنا بالتصفيق الحاد جميعا لشفاط فهو الوحيد الذى استطاع أن يتواصل مع كائن عقله محدود ويفهمه ويقنعه، ثم نظر ماندو له بفخر:

- وأنا اللي كنت فاكرك غبي، طلعت أذكى واحد فينا، استغل إن أقرب طريق لدماغ الحيوانات معدتهم ودخل من السكة دي.

رد عليه شفاط متعجرفا قليلا على غير العادة:

- لا، أنا بس حسيت إنها جعانة علشان مفيش هنا برك قريبة وهي بتاكل طحالب.

صفق له وليد:

- بصفتي القائد أجعلك ذراعي اليمين ووزيري الخاص، أنا آسف يا ماندو بس الواد فاجئني يا جدع.

نظر شاكر إليه غاضبا:

- يا عم قائد ايه؟! قرفتنا.

أعقبت سارة كلامه:

- لا والله ده عسل.

ما زالت سارة لغز لا يرغب عقلي أن يحله، فهي ترغم شاكر أن يغير، وبالفعل كانت ردة فعله واضحة:

- اسكتي اسكتي.

نظر ماندو لهم باستغراب:

- ايه يا جدعان ده أنتو سارقين قاتلين شاربين نايمين مع بعض.

رد وليد:

- ولا بيصونوا اللقمة الحرام.

قاطعهم فلامديو:

- شاكر كان معاه حق، احنا محتاجين وقت طويل علشان نقدر نتكلم مع عدد كبير من الحيوانات والوقت هيفرك مننا. ده غير إننا مش هنقدر نتكلم مع الحيوانات القوية اللي بتاكلنا علشان هتعملنا هم هم.

تحدث شاكر:

- أنا عن نفسي لو شفت فرخة جت سألتني أنت جعان ولا لا هاكلها.

رد ماندو:

- احنا مفيش قدامنا حل تاني هنعمل ايه يعني.

راودتني فكرة جافة مجردة لا أعلم كيفية تنفيذها:

- لا فيه بس هي خطة فيها مجازفة.

نظر الجميع لي بإمعان فاستكملت حديثي:

- زي ما الحيوانات كلها شافتك وأنت بتقتل ال Blattoptera لازم يشوفوك وأنت بتعمل حاجة كويسة ويشوفوا شلامديو على حقيقته.

فقد فلامديو عقله الذي أهلك أذننا بامتلاكه من قبل:

- يعني أهبب ايه يعني؟
- ما احنا نفكر بقى.

فكر وليد قليلا: تطلع على الشجرة وتندهلهم.

- على أساس هيسمعوني!

استرسل شاكر الحديث:

- واحد منكم يروح للشلامديو يقوله على مكانك وهو هيجي لغاية عندك مع كل الحيوانات.

- هيجوا يبقلشوني ويقرقشوا الحد اللي هيروحلهم.

أقنعني الفلامديو للمرة الأولى. وضح ماندو فكرته:

- احنا نخلي حيوان ضعيف يشوفنا ونقوله يبلغ الشلامديو عن مكانك.
- طب ما هيجي يقتلني أنا وبنتي.
- لا، ما هيجي يلاقي واحد فينا، يعمل معاه اتفاق إنه علشان يوصل ليك ناخد حسن.
- وترجعوا أنتو وأنا أتشنير هنا.

ردت سارة:

- الاتفاق هيكون إننا ناخد حسن ويصطادلنا frog نأكله زي ما عمل قبل كده، بس دلوقتي هيبقى قدام حيوانات الغابة كلهم فطبعا لما يشوفوا كده هيفقدوا ثقتهم فيه. ويظهر الفلامديو يحكي لهم.
- ولو مسمعوش كلامي؟!

سرقت ريم الحوار: تحاول تهرب تاني ما أنت كده كده هربان، وكمان أنت بتعرف تطير.

- فيه حشرات كمان بتطير هيقولولهم على مكاني.

استكملت الحديث:

- معاك شفاط اهه، كلمهم وصاحبهم من دلوقتي.

نظر شفاط إلينا مبتسما:

- والله أنتو ناس ذكية خالص وعتخلوا كل حاجة تبقى حلوة.

رد ماندو:

- البركة فيك يا أبو الشفاطيط.

تحدث وليد إلى تيتو:

- هل لديك أي رأي يا تيتو؟ كلنا شاركنا.

أصدر تيتو صوت كحة من حنجرته كأنه سيغني:

- أنا شايف إن أنتو بتتكلموا صح.

رفع ماندو حاجبه: شكرا على الإضافة.

استحضر وليد أسلوب التفاهة:

- لا كله إلا تيتو، الراجل ده بيعمل كبدة ميه ميه، الراجل ده صح الصح وبيعمل كبدة صح الصح.

رد ماندو:

- وأنت مال أمك! مال أمك أنت!

عقلي يسب وفمي صامت، فبرغم حبي لهذا الفيلم وعشقي للأفلام عموما إلا أنني حين أسمع قلشات الأفلام في الحياة الواقعية يقف شعر جلدي، وأشعر بحشرات العث تحتل جسدي، ولكن هل تصنف الحياة هنا على أنها واقعية؟ وهل حشرات العث موجودة الآن؟ لا أعلم حقا ولكن كلامهم جعلني أشعر بالحكة.

ضحك ماندو ووليد، ولكن فلامديو لم يفهم شيئا، فهو توقع أن وليد سيعارك ماندو بسبب سبابه له ولم يعلم أنه سيضحك. خرج فلامديو وشفاط ليتحدثوا مع ال Meganeura والحشرات الطائرة الأخرى، فتحدثت ريم:

- كان نفسي أروح معاهم، أنا حبيت الحيوانات أوي لما اتكلمنا مع الضفدعة.

ردت سارة:

- Yes she is so cute

- أه قمورة.

نظر ماندو إلى وليد.

- عبط دول ولا ايه؟!

همس تيتو في أذني:

- ماندو بيقول على صاحبتك عبيطة.

- أه سمعته.

داعبت عيني أعين ريم بعض الوقت ثم تحدثت إليها متخذا فرصة للانفراد بها:

- تعالي ندور عليهم ولو لسه مطاروش نروح معاهم.

وجهت ريم حديثها إلى أخيها:

- تيجي معانا يا شاكر؟

نظر شاكر للأرض:

- لا روحي أنتِ.

ارتسمت ملامح الغيرة على وجه سارة كالعادة:

- تيجي معانا يا سارة؟

- لا أنا قاعدة مع شاكر.

ابتسم شاكر فغمزت له ريم، وخرجنا من المخبأ الموجود بين الأشجار ولم نجد الفلامديو فبدأت الحديث:

- شكلهم طاروا.

- لو رجع بيك الزمن هتختار إنك تيجي هنا ولا لا؟

- لو رجع بيا الزمن بعدما أختار إني آجي هنا كنت هتمنى مالقيش البيت الخشبي.

نظرت ريم لي باستغراب:

- كنا هنموت!
- ماكناش هنموت، كنا هنعيش أحلى حياة.
- دلوقتي احنا هنرجع تاني، ماندو معاه الزرار.
- هنرجع بس هننشغل ونتوه في زحمة الحياة، مش هيبقى عندنا وقت لمشاعرنا.
- ليه الكآبة دي؟! أنت عارف الصور والفيديوهات اللي صورتهم ممكن يحولوا حياتك ازاي ويخلوا روايتك وأغانيك تتشهر، وأنا كمان ورق الشجر اللي وخداه ده ممكن يعمل في حياتي ايه؟

أمسكت ريم من يديها ونظرت إلى عينيها بطريقة غريبة وأسلوب جعلها تستعجب:

- لو رجعنا، توافقي إن احنا نكمل حياتنا مع بعض ومحدش فينا يسيب التاني خالص؟

ابتلعت ريم لعابها وابتسمت عيناها ثم اختفت ابتسامتها فجأة:

- يلا نرجع.

لا أدري ماذا حدث ولماذا لم تجب سؤالي؟ لقد كان ردها غير متوقع نهائيا، وشعرت بأن اللون الأخضر حولنا تحول إلى الرمادي حتى اخترقني تساؤل حين وجدت عينيها ثابتة لا تتحرك كأنها تحولت لتمثال، فأصدر عقلي إشارة لرأسي جعلها تدور وتنظر إلى المكان الذي تنظر إليه فوجدت حيوان ال Anthracosauria ينظر إلينا:

- ده شبه اللي مع سعيد صح؟
- نفس النوع.

إذا هرولنا وعدنا سيدخل المخبأ خلفنا ويقتلنا جميعا، نظرت إلى شجرة ليست بعيدة.

- احنا هنجري ناحية الشجرة دي ونطلعها بسرعة.

أمعنت النظر ناحية الشجرة فوجدت Anthracosauria آخر يقترب منا؛ تشابكت يدي مع يد ريم ونظرت إلى الشجرة كصقر لا يرى غيرها:

واحد اتنين تلاتة.

هرولنا تجاهها وهرول الاثنان خلفنا، وقبل عدة ثوان من افتراسهم لأقدامنا ابتعدنا عدة سنتيمترات، فهرول أحدهم بسرعة عائدا:

- كملي طلوع أنتِ.
- وأنت؟
- مالكيش دعوى بيا، فيه واحد جري راح يبلغ، يعني لو فضلنا على الشجرة هنموت، ولو نزلنا برضه هنموت لإن اللي تحت ده مش هيمشي.

أحتضن الشجرة بذراعي وأشعر أن يدي ستنزلق، ريم ما زالت تحتضنها مثلي ولا تريد الصعود:

- أبوس ايدك اطلعي.
- قولي عايز تعمل ايه.

هبطت بعض الشيء، رفعت قدمي وأنزلتها على رأسه عدة مرات، وفي كل مرة أكاد أن أفقدها، حتى كادت ريم أن تصرخ:

- بلاش برجلك يا كيمو.

صعدت ريم قليلا، كسرت غصن شجرة رفيع وأعطته لي، صعدت بعض الشيء وغرست الغصن في رأس ال Anthracosauria عدة مرات حتى هرول بعيدا:

- يلا ننزل بسرعة هو كده رايح يبلغ هو كمان.

هبطت ريم وأثناء هبوطي سقطت من فوق الشجرة كالعادة وفقدت الوعي بعض الوقت، وحين فتحت عيني وجدت ريم بجانبي تحمل رأسي على ساقيها وتحاول أن تجعلني أستفيق:

- أنت كويس؟

- تلت وقعات على نفس الدراع كتير.

أصوات حيوانات العصر الكربوني جميعها تقترب منا، وقبل أن نعود حاوطونا من جميع الاتجاهات.

الفصل العاشر: حرب دامية

ننتمي إلى العدم، يطاردنا دائما منذ الميلاد حتى ينجح في إخمادنا، نولد لكي نموت، نصارع من أجل البقاء ولا نبقى، كلنا زائلون مهما فعلنا أو توصلنا بالعلم، مهما تقدمنا بالزمن أو تأخرنا سينقرض الجنس البشري يوما ما مثل جميع الذين انقرضوا أو سينقرضوا؛ فالحياة أبدية والكائنات تتغير، الصراع على الأرض ليس بين الكائنات وبعضها ولكن بين الطبيعة والكائنات، فنحن أبناء الطبيعة تحنو إلينا أحيانا، تغذينا بجمالها وتداعب مشاعرنا، وأحيانا أخرى تقسو وتصب علينا لعناتها كالنيازك والشهب، كالأعاصير والفيضانات.

نحن نعيش في بركان يبدو خامدا ولكننا لا نشعر بانصهاره، نقتل بعضنا بأسلحة مصنوعة بأيدينا، نصارع كائنات أخرى من أجل البقاء للأقوى الذي يسخر الضعيف لأجله، لكن الطبيعة تقتلنا بفيروس لا يرى بالعين المجردة، فهي لا تحتاج أسلحة ومعدات حربية، نحن ضعفاء للغاية، تنعدم حياتنا بأقل الأشياء وأبسطها، فأجسامنا كأي آلة صنعناها قد تتوقف عن العمل فجأة لأسباب بسيطة، والفرق بيننا هو الإحساس فقط، كل الكائنات التي تحاوطنا الآن ستنتهي يوما ما، ستسحقهم الطبيعة وينقرضون ثم نجد حفريات بعضهم بعد أكثر من ٣٠٠ مليون عام.

ولذلك ليس هذا أخطر موقف قد يواجهه بشر، فعوادم السيارات التي يسببها سائق بسيارته، أو صناعة البلاستيك وعدم تدويره، إشعال سيجارة، قطع شجرة، كل هذه المواقف أخطر لأنها تستفز الطبيعة بمحاولة تدميرها فتصب لعناتها على الجميع، فأي تغيير فيها يؤدي إلى كوارث مدمرة. الآن نحن هالكون ولكننا سنهلك بمفردنا، ولكن من يقطع شجرة يهلك جنسه بأكمله وجميع الكائنات الأخرى.

أقف مع ريم وسط مجموعة من الحيوانات التي تحاوطنا بشكل دائري، حيوانات رأيتها من قبل منذ أن أتيت إلى هنا وحيوانات لم أرها. لقد كانت ترتجف قدمي خوفا حين رأيت الوزغة بالمنزل، والآن أقف في الحلبة بين زواحف عملاقة وحيوانات أخرى أشرسها الشلامديو ولا أعبأ بحياتي، ولكن أستنشق الخوف ويغزو دمي رعبا على حياة ريم؛ فأنا مستعد أن أفقد حياتي في سبيل ألا تصاب بالذعر فقط.

تقدم الشلامديو وبجانبه أحد ال Anthracosauria الذي يجلس فوقه سعيد:

- تتوقعوا يا قطاقيط هتموتوا في كام ثانية؟

رد سعيد:

- مع كل الحيوانات دي أعتقد هيقعدوا ثانية.

لقد اختار سعيد الجانب الأقوى بغض النظر عن معاداته للحق والجنس البشري عموما.

- بقى أنت يا سعيد بتقف قدام جنسك علشان كائن تاني.
- خدت ايه من وشكم غير الجوع ووقفة النواصي.
- وأنت دلوقتي شبعان يعني.
- دلوقتي أنا قوي.

حادثته ريم:

- يعني لو جاتلك فرصة ترجع مش هترجع؟!
- لو جاتلي الفرصة إني اموت ومارجعش هموت.

قاطعنا الشلامديو:

- أنتو هتقضوها رغي ولا ايه؟ أنتو مش واخدين بالكم إني بإشارة دلوقتي هتبقوا وجبات للكائنات الجعانة دي؟

أجبت: إلا لو اتفقنا.

- فين فلامديو؟
- سيب حسن وخلينا نمشي واحنا نقولك مكانه.
- حسن معانا لغاية ما أجيب فلامديو وأقتله.
- ده شرطنا.
- يبقى هتموتوا أنتو التلاتة يا حلوين.

نظر شلامديو للخلف لكي يطلق إشارة الهجوم فأسرعت ريم بالحديث:

- خلاص عندنا شرط تاني.

نظر لها شلامديو منتظرا حديثها فاستكملته:

تصطادلنا ضفدعة نأكلها.

- بس كده .. اصطد لها ضفدعة يا سعيد.
- لا أنت اللي تصطاد.

نظر لها شلامديو بخبث:

- أه عايزة تخلي الحيوانات تكرهني، فكرة حلوة برضه، بس تفتكري إنهم هيكرهوني فعلا؟! دول أغبى ما يكون ولولا إني زرعت في دماغهم كره فلامديو بذكاء ماكنوش هيكرهوه.
- يعني هتصطاد؟

ابتعد شلامديو بعض الوقت حتى أمسك بضفدع يشبه تماما الذي تحدثت معه أنا وفلامديو.

- ادي ضفدعة اهه هقتلها لك دلوقتي.

رفع يده ليقتلها ثم توقف ونظر إلى ريم:

- أنتِ تعرفيها؟

- ليه بتسأل؟
- كانت بتقولك ازيك يا ...

توقف عن الحديث فجأة فتحدثت باستغراب:

- قمورة؟!
- أه ولما رفعت ايدي صرخت وقالت قوليلوا مايقتلنيش أنا عايزة أعيش مع ماما.

نظرت ريم إلى الضفدعة وكادت أن تدمع عيناها. رفع شلامديو يده مرة أخرى عازما على قتلها هذه المرة فأوقفته ريم:

- استنى .. سيبها.

نظرت إلى ريم بتعجب شديد وإحساسين متناقضين: أولهما إنسانيا للغاية، حيث أنها اختارت أن تدمر خطتنا في سبيل إنقاذها من الموت، وهذا جعلها تسمو في نظري. والإحساس الآخر أنها اختارت هلاكنا جميعا، وهذا ما جعلني في حالة صدمة ورعب مما سيحدث، فالخطة لن تسير كما يرام.

ترك الشلامديو الضفدعة فهرولت نحو ريم وجلست بجوارها تلعب معها.

- بتشكرك وبتقولك أنها بتحبك، أنا مش قادر أتخيل سذاجتكم كبشر، أنتِ ضيعتي آخر ...
- فرصة.
- آخر فرصة كانت معاكي ومش من حقك تطلبي غيرها، ودلوقتي أنتِ مجبرة تقولي مكان فلامديو ونلاقيه في المكان ده علشان نقدر نسيبكم، غير كده مش هتبقوا موجودين كمان عشر ثواني.

الثواني تمر ولا ندري ماذا نقول وسننتهي بعد لحظات:

- سامحني يا كيمو .. مقدرتش أسيبها تموت.

- أنتِ عملتِ الصح.

أمسكت يد ريم وانتظرنا الثواني الثلاثة الأخيرة التي سنموت بعدها حتى سمعنا صوت الفلامديو من فوق إحدى الأشجار:

- استنوا .. أنا اهه.

نظرت إلى الفلامديو بفخر شديد متذكرا ما قاله مسبقا: إن المشاعر لا قيمة لها وما يهم هو الذات فقط، وكيف أن البشر كائنات ساذجة غبية تحكمهم مشاعرهم. والآن يضحي الفلامديو بنفسه في سبيل إنقاذنا، ما أعظم هذا الكائن! لقد كنت أعلم من البداية أنه يدفن شيئا خلف أسواره الشاهقة، فكما كان مكانه محاطا بالكهرباء كان قلبه أيضا محاطا بالأسلاك الشائكة التي تخفي مشاعر نبيلة انتهكها جرحا عظيما والدليل على ذلك هو حبه الشديد لابنته.

نظر الشلامديو إلى الفلامديو ويبدو أنه يتحدث إليه فقاطعه الأخير:

- كلمني بلغة البشر علشان دول أسرتي دلوقتي وعايزهم يفهموا الكلام اللي بتقوله، بنتي تفكك منها، أنا قدامك اهه.
- تقول مكانها وإلا هنقتل أسرتك الجميلة دي ونقتلك، وبعد كده هنروح ندور على بنتك ونغتصبها وبعدها نقتلها.
- أنا قدامك اهه شنيرني أنا وزحلق بنتي من على ودانك.

نظر شلامديو بسخرية وأنفاس غضب تخرج من خلف أسنانه العظيمة:

- علشان بعد كده تتجوز واحد مننا وجنسك يتطور ويعيش ويقتلنا صح!
- خليهم مايتجوزوهاش وهددهم اللي هيتجوزها هيتشنير زي ما شنيرت أبوها.
- ما احنا كنا قايلين لمراتك ماتتجوزكش وإلا هنقتلها واتجوزتك برضه وأنا مش هسمح ده يحصل تاني.

- طب أنا اللي هروح أجيب بنتي.
- احدف الجناحات اللي بتطير بيها.

لم يوافق فلامديو وبعد التهديد وافق فأرسل شلامديو معه ١٠ حيوانات شرسة من أنواع مختلفة لكي لا يهرب. سار فلامديو معهم دون أن يستطيع الطيران، لأنه فقد أجنحته التي ارتداها شلامديو:

- دلوقتي هقدر أطير في الوقت اللي أنا عايزه.

نظرت لشلامديو بغضب:

ماتبصليش كده ياض أنت.

أتمنى لو أستطيع أن أسحبه معي إلى العصر الحديث وسيقوم البشر بما يجب فعله معه هناك حتى ينتحر.

انتظرنا الكثير من الوقت ولم يعد أحدا، فأرسل شلامديو ٢٠ حيوانا آخر يبحثون عنه في المكان؛ حيث أنه لا يبعد كثيرا بسبب عدم قدرته على الطيران.

فتحدثت إلى ريم:

- تعتقدي دي خطة عاملها فلامديو ولا تخلى عنا؟!
- حتى لو تخلى، دي بنته، هيجيبها تتقتل يعني.
- فينك يا وليد تقولنا حاسس بحاجة صح ولا حاجة غلط.

اقترب شلامديو منا:

- هو أنتو فاكرين إن أنا مسمعتكوش، يعني أنا هسمع كل أصوات الحيوانات ومش هسمع سيادتكم لما تتوشوشوا، على العموم لو عامل خطة هتيجي على دماغكم أنتو.

أرسل شلامديو ٢٠ حيوانا آخر:

- قولتلهم اللي تلاقوه قولوا لو.

قاطعت شلامديو:

- قولوا له مش قولوا لو.
- قولوا له لو فلامديو هو وبنته مارجعوش هقتل ال٣ اللي عندي، روح يا سعيد هات حسن.

ذهب سعيد بال Anthracosauria الذي يجلس فوقه بطريقة عجيبة وقدمه تلمس الأرض، فبرغم أن الحيوان مرتفع بعض الشيء إلا أنه يظل من الزواحف.

لا أعرف ماذا أطلق على سعيد، فمن يقود الفرس يسمى فارس أما من يقود ال Anthracosauria ماذا يسمى؟

حدثتني ريم:

- مش أنت كان نفسك إننا نبقى لوحدنا في الغابة ومانرجعش الزمن اللي كنا فيه تاني، أمنيتك اتحققت اهه.
- نفسنا نعيش في الزمن ده مش نموت فيه.
- احنا لولا الفلامديو كنا موتنا من زمان.
- يعني لما الدنيا تبقى حلوة وقمر كده أموت! ده ايه الحظ ده؟!

يقف سعيد خلفي ومعه حسن:

- بطلوا نحننه علشان هتتشلوحوا أنتو الاتنين كمان شوية، أقصد أنتو التلاتة.

تحدث حسن:

- هما فيين؟

رد سعيد:

- ما هم قدامك أهه يا ضنايا.
- أنت بتكلمني كده ليه يا بني أنت؟

قاطعته ريم:

- اقعد يا حسن، أنت مش مقدر الموقف علشان مش شايف حاجة، معلش يا دكتور سعيد هو مايقصدش.

نظر سعيد إليها بتكبر وابتعد فاستكملت كلامها:

- عيل زبالة.

تحدثت إلى حسن:

- أنت كويس يا حسن.
- نفسي أعمل نظارة.
- العيادة آخر الشارع يمين.

تدخل الشلامديو:

- شكل الفلامديو باعكم، قال وأنا اللي قلت عليه بطل.

أمر شلامديو الحيوانات بالهجوم علينا، ومن الجانب الآخر مجموعة من حيوان ال Eryops megacephalus تشابكت معهم، وأحدهم توقف أمام ريم، فصعدت فوقه وزحف بها مسرعا؛ فهي من أنقذته من الموت والآن ينقذها.

- استني كيمو .. يا كيمو يا كيمو.

لم يفهم الكائن لغتها واستمر في الزحف سريعا.

- امشي ورا ورق الشجر يا كيمو.
- ماترمهوش يا ريم.

ألقت ريم جميع أوراق الأشجار التي جمعتها كخط كي أسير على خطاها وألحق بها في أمان، صدمت رأسي بشجرة غضبا، ثم أمسكت حسن وهرولت به كما يشير الخط الذي رسمته لي ريم بكل ما جمعته من ورق في هذا العصر، لقد اختارت أن تنقذني وتخلت عن حلم كانت ستحققه

عندما تعود إلى الزمن الحديث، ما زلت أراها لم تبعد كثيرا فيبدو أن الورق انتهى وألقت بنفسها من فوق ال Eryops لاهثة تهرول نحوي خوفا أن تفتقدني، فهرولت نحوها وأنا اسمع نبضات قلبي تتضاعف سبعين ضعفا، لم تتضاعف خوفا أو قلقا بل عشقا، المعركة دامية والخسائر فادحة لكائن ال Eryops فهو يحارب جميع الكائنات ويبدو أننا هالكون، ولكني لا أرى كل هذا وأرى فقط عينيها التي تسحبني إليها كالمغناطيس.

لقد ضحت بكل شيء من أجلي، ضحت بمستقبلها حين ألقت أوراق الشجر، وضحت بحياتها حين قفزت من فوق الكائن لتلحق بي.

التفت يدي حول خصرها والتفت يدها حول خصري حتى كادت ضلوعنا أن تنكسر، تشابكت شفاهنا حتى جف لعابنا، وشعرنا بالخطر مع هلاك ال Eryops وهجوم باقي الحيوانات تجاهنا.

- نزلتي ليه، نزلتي ليه يا حبيبتي؟!
- أقدر أموت معاك بس مقدرش أعيش من غيرك.

احتضنتها مرة أخرى منتظرا الموت هكذا على هذه الحالة، فأنا أوافق على هذه النهاية ولا أعتقد أن هناك طريقة موت أفضل من ذلك.

لمحت حسن بطرف عيني يقف بجانبنا، لقد نسيته، وفي الجهة الأخرى يأتي وليد مسرعا وهو يجلس على spathicephalus mirus العملاق الذي لم نجد حفرياته حتى الآن وبجانبه معظم الحيوانات التي أرسلها الشلامديو للبحث عن الفلامديو، وفي يد وليد رمح صنعه من غصن واشعله من الأمام

Bombastic Fantastic

قفز وليد من فوق ال spathicephalus mirus وتحدث بنبرة صارمة:

- تعالوا ورايا.

أمسك وليد يد حسن وأمسكت يد ريم ثم تشابكت الحيوانات التي جاءت معه مع الآخرين، والبعض انقسم من مؤيد لشلامديو ومؤيد لفلامديو، فأصبحت المعادلة متكافئة وسرنا خلف وليد وسط حرب أشعلناها وهربنا منها، أين زعيم الشلامديو وتابعيه؟ أين الفلامديو وأصدقاؤنا الآخرون؟

سرنا خلف وليد تحت هذه الأنقاض وأنا أقوم بتصوير آخر معركة بموبايلي قبل أن أفقد بطاريته التي أوشكت على الانتهاء.

- هو فين فلامديو؟
- في الحرب اللي في البحر.
- هو فيه حرب في البحر .. ده احنا دمرنا الكوكب.

هجم خلفنا حيوان ال Anthracosauria الذي يحارب ببسالة ضدنا، فأشعله وليد بالنار التي يحملها واستمررنا بالسير إلى أن أوشكت نار الرمح على الانطفاء.

تحدث حسن:

- احنا رايحين فين؟

رد وليد:

- ماندو وكل العيال منتظرينا علشان نرجع، حد فيكم شاف شاكر؟

قالت ريم بخوف:

- ليه ماله؟
- هنلاقيه متخافيش.

حشرات صغيرة متعددة تهرول نحونا قد تكون سامة، ولكن الضفادع العملاقة من الجهة الأخرى تصطادهم لإنقاذنا، ابتسمت لأحدهم واستمررنا في السير حتى وصلنا إلى المستنقعات، ثلاثة كائنات من الشلامديو يهرولون خلفنا.

فتحدث وليد إلينا:

- اطلعوا ورايا.
- طب ما ننط.

نظرت إلى المستنقعات:

- هينطوا ورانا.

هرول وليد ناحية شجرة وتسلقها، نجح حسن في التسلق خلفه وفشلت ريم فسقطت على الأرض وقفزت خلفها، كائنات الشلامديو تستعد للهجوم ويرغب وليد في إلقاء الرمح فوقهم ليحرقهم، ولكن النار ضعيفة للغاية لن تشعلهم، وجميع الأغصان على الشجرة سميكة لا يستطيع أن يكسر أحدها ويشعله.

- أول ما أعد لثلاثة تنطوا في المايه وتعوموا على نفس الصف اللي كنا ماشيين فيه.

أخرج وليد الكشكول الذي يدون فيه منذ أن جاء إلى هنا وأشعله من الرمح ثم أشعل الرمح به.

- واحد اتنين تلاتة.

ألقى وليد الرمح تجاههم وقفزنا إلى الماء ثم بدأنا بالسباحة في نفس الطريق حيث كنا نسير على اليابس، ولكني أشعر بأنني أفرغت كل طاقتي ولم أعد أقوى على السباحة.

- خايفة؟

أمسكت ريم يدي أثناء السباحة.

- لا.

امتلأت بالطاقة من جديد واستمررت في السباحة معها دون أي تعب، حتى انتهت البركة وخرجنا إلى البر فوجدنا حشرة ال Meganeura وقفت في الهواء ثم جاء العديد منها وتحركوا أمامنا.

- عايزين يهاجمونا دول ولا ايه.
- مش حاسة كلامك صح لإن فلاموديو وشفاط كلموهم قبل الحرب.

اتبعنا حشرة ال Meganeura حتى وصلنا إلى شجرة يجلس الجميع فوق غصن سميك بها، ويجلس تيتو فوق غصن آخر يقترب من الأرض.

- تيتو، تيتو.
- إيه يا فنان، كويس إنك عايش يا صديقي.

نظرت خلفي فوجدت كائنات عديدة بالمكان ولكني فقدت كل طاقتي وقدرتي على الصعود.

- هات ايدك، ساعدنا نطلع معلش يا حبي.

نظر تيتو إلى الحيوانات القريبة منا فوجدهم يقتربون.

- لا يا عم هقع يا عم، حاول تطلع.
- اخلص يا تيتو.

تسلق تيتو إلى الأعلى حتى وصل إلى الآخرين.

- أه يا واطي.

تسلقنا أنا وريم بصعوبة بالغة حتى وصلنا أخيرا ونجونا من الهجوم. رحب بنا الجميع ثم تحدث شاكر إلى ريم:

- كويس إنك بخير.
- جيت ازاي قلقتنا عليك.
- البركة في القائد وليد.

ابتسم له وليد ثم وجه شاكر كلامه لي:

- شكرا إنك واخد بالك من أختي.
- اشكرها هي، هي اللي واخده بالها مني.
- عظيم! عظيم!

ضحكت ريم وبكى شفاط بشكل مفاجئ أثناء نظره إلى مكان ما فتعجبت قائلا:

- ماله ده؟!

لاحظت سارة الأمر:

- بصوا، جابوهم عند الشجرة.
- ايه ده فيه ايه؟!

نظرت إلى الشجرة فوجدت ابنة فلامديو فوقها، طار الشلامديو إلى الأسفل ثم أمسك بالفلامديو ووضعه بجوارها، والكثير من الحيوانات ينظرون من الأسفل ومعهم سعيد فيبدو أن جيش الشلامديو هو المنتصر.

- هما هيعملوا فيهم ايه؟

رد شفاط أثناء بكائه:

- عياكلوهم.

سارة تبكي، ريم تبكي، والجميع ينظر بحزن. تحدث تيتو:

- فلامديو كان عنده طلب غريب قبل ما يموت حاولنا نحققه له بس شلامديو مارضيش لإن مفيش حاجة نقدمها قصاده.
- ايه طلبه؟
- يلعب على الجيتار.

رد تيتو صدمني بعض الشيء ولكنني أرغب بشدة بمساعدته في تحقيق بعض السعادة قبل الموت.

- حد فيكم معاه موبايل؟

أخبرني الجميع إنهم إما فقدوا موبايلاتهم، وإما لم يحضروها، وإما هلكت من الماء. اتخذت طريقي إلى النزول فحادثني ماندو:

- رايح فين يا نجم، يلا علشان نرجع، كلنا هنا اهه.

لم أستمع إلى ماندو وهبطت قليلا فسمعت ريم:

- استنى يا كيمو جايه معاك.

- اطلعي يا ريم أبوس ايدك، أنا حاسب كل حاجة بالثانية وماينفعش حد يبقى معايا.

لم تستمع ريم فاستكملت كلامي:

- لو بتحبيني اطلعي.

تحدث ماندو إلى ريم:

- اطلعي يا ريم ماتقلقيش طالما قالك حاسبها بالأرقام لإنه شاطر فيها.

صعدت ريم واتجهت نحو الشجرة التي يجلسون فوقها، اتخذ الحيوانات وضع الهجوم ضدي فناديت:

- يا شلامديو .. شلامديو.

سمعني شلامديو وطلب من الحيوانات التوقف عن مهاجمتي:

- عايز ايه؟ ماتهببتوش رجعتوا بالزمن ليه؟ عايزين تتن....

- تتنيلوا.

- عايزين تتنيلوا تموتوا.

- سيب الفلامديو يلعب بالجيتار قبل ما تقتله وهديك الموبايل بتاعي.

رد الفلامديو من فوق الشجرة:

- أنا مش موافق، ماتاخدش منه حاجة.

هبط شلامديو:

- هات الموبايل.

وضعت يدي بجيبي ولكني لم أجده، فنظر سعيد إلى شلامديو وأعطاه له.

- موبايله اهه.

لم يكن سعيد بالمكان منذ دقيقة ولكنني كدت أنسى وظيفته، فهو يأتي سريعا ويختفي سريعا ويسرق دون أن يدري أحد شيئا، نظر شلامديو تجاهي موجها حديثه لي:

- حتى لو ماكنش سرقه كنت هاخده منك ويلا امشي من هنا مفيش جيتار ولا زفت.

نظرت إليه وضحكت لاستفزه:

- الموبايل بباسورد مش هتعرف تفتحه غير لما أقولك عليه، ومش هقولك عليه حتى لو قتلتني إلا لما فلامديو يلعب على الجيتار.

اقترب مني سعيد:

- أنت بتهدد عمك يالا؟!

وضعت قدمي خلف قدم سعيد دون أن يشعر ثم نظرت للأسفل وحادثته:

- حاسب يالا.

عاد سعيد خطوة إلى الخلف لا إراديا فتشابكت قدمي معه وسقط على الأرض.

- مش تحاسب الحفرة.

حـاول أن يهـاجمني Anthracosauria أوقفـه شـلامديو فغضـب منـه وهاجمـه، وقـف سـعيد ليهـاجمني فأسـقطته مـرة أخـرى علـى الأرض وانقضضت فوقه إلى أن فقد قواه فتركته قبل أن يموت، وتسلقت الشجرة أثناء انشغال الشلامديو في محاربة ال Anthracosauria وعدم معرفة الحيوانـات مـع أي جانـب يحـاربون، انتصـر الشـلامديو علـى ال Anthracosauria وقتلـه، ممـا أدى إلـى غضـب سـعيد وهجومـه عليـه بالسكين، فأمسكه شلامديو وأسقطه أرضا ثم قام بأكله، وفي هذه اللحظة غضب معظم الحيوانات منه، فطار إلى أعلى الشجرة بالجناح الذي صنعه الفلامديو وتحدث بلغات غريبة ثم تحدث معي:

- هتقولي الباسورد بعد ما فلامديو يعزف وإلا هقتلك وآخد الزرار اللي هترجعوا بيه أبوظه.

العديد من أفراد الشلامديو الآخرين حضروا إلى المكان ثم ذهب أحدهم بعد حديث الشلامديو مع الفلامديو، فيبدو أن الأخير وصف له مكان الجيتار فأرسل أحدهما ليحضره، انتهي سعيد في هذا العصر فهو من اختار هذه النهاية، ولكن هل هذه النهاية بالنسبة له وسيموت قبل أن تلده أمه أم أنه سيفقد في دائرة أبديه وسيعيش حتى يأتي إلى هنا ويموت مرة أخرى؟! وبذلك سنكون هنا أيضا لنعيش معه نفس القصة ونضيع في سراب الزمن.

أحضر أحدهما الجيتار وأعطاه إلى الفلامديو الذي بدوره أطرب أذني بأجمل موسيقى لم أكن أتوقع أن أسمعها، وغني فلامديو بأصوات حيوانات غريبة لم أفهم منها شيئا، لقد تعلم مني العزف وتعلم من تيتو الغناء ويبدو أنه يمتلك موهبة التأليف فأنا أسمع أصواتا غريبة متناغمة أثناء عزفه على الجيتار، وهذا الغناء جعل الحيوانات بالأسفل ينظرون إليه منصتين محبين لصوته وكلماته. بعض كائنات الشلامديو يهجمون

نحو الشجرة محاولين أن يصعدوا، ولكن بعض حيوانات الغابة يهاجمونهم بالأسفل، ويستمر الفلامديو بالعزف والغناء.

نظر زعيم الشلامديو إليهم من الأعلى غاضبا، ويبدو أنه هددهم، ثم انقض بعض الشلامديو عليهم ووجه زعيمهم كلامه إلي:

- الباسورد كام؟

رسمت له الباسورد بيدي من بعيد وحين أدخله على الموبايل تم فتحه فعلا ولكن فرغت بطاريته.

- ايه ده .. أنت بتشتغلني؟

- صدقني الباسورد صح بس الشحن خلص.

جيوش من حيوان ال Anthracosauria هجمت على كائنات الشلامديو، كما هجمت عليهم معظم الكائنات الأخرى أيضا بفضل أغنية الفلامديو، فطار زعيم الشلامديو باتجاه الشجرة التي يجلس فوقها أصدقائي وهبط الفلامديو وبنته من فوق الشجرة الأخرى.

- شكرا يا كيمو إنك أنقذت حياتي وحياة بنتي.

- بس حياة أصحابي وحبيبتي هي اللي هتنتهي دلوقتي.

ضرب الشلامديو غصن الشجرة التي يجلس فوقها الجميع؛ فسقطوا على الأرض وتبقى ماندو على الغصن الآخر .. وهو الشخص المطلوب بالنسبة للشلامديو، فهو من يملك الزر، وبالانتقام منه وأخذ الزر لن يعود أحد. نظر ماندو في عين الشلامديو وأخرج الزر راغبا أن يضغط عليه ويعود بمفرده بدلا من أن يموت في هذه اللحظة، ولكن ارتجفت يده دون أن يدري ماذا يفعل ولكنه قرر في النهاية، ونادى بصوت عال:

- وليد.

القى ماندو الزر من فوق الشجرة لوليد بالأسفل وانتظر الهلاك فتحدثت إليه:

- نط حالا يا ماندو هتلحق.

لا يرغب ماندو في القفز، لقد استسلم، أرى ذلك في عينيه، ولكن حين رأى الفلامديو يقف بالأسفل ويحاول الصعود ارتعد فتحدثت:

- لو مانطتش حالا هتموت.

قفز من فوق غصن الشجرة وهبط الشلامديو خلفه فأمسك به الفلامديو وقام بضربه كثيرا، وتلقى بعض الضربات أيضا إلى أن تهالك الشلامديو في يده وأصبح ضعيفا للغاية فحادثه الفلامديو بلغتنا:

- خايف نتطور ونبقى أقوى منك علشان أنت عارف إنك هفا.

ضربه فلامديو ضربة أخرى فسقط بلا حراك، وانتهت المعركة بهروب بعض كائنات الشلامديو وتهديدهم للجميع بالعودة والانتقام. تحدث ماندو إلى الفلامديو:

- أنت كده لسه حياتك في خطر؟
- ما أنا طول عمري كده ايه الجديد.
- أنت أنقذت حياتى.
- وصاحبك برضه أنقذ حياتي، كلكم أنقذتوني، من غيركم كان زماني متبقلش.

رد شاكر:

- متبقلش؟!
- أه.
- يعني مين أذكى دلوقتي؟
- إيه؟
- بهزر يا فلامديو، أنت أذكى، أنا مكنتش متوقع موضوع الجيتار ده.

- لا يا شاكر أنتو أذكى، بس يا ريت تستخدموا ذكاءكم صح دائما، لإن لو استخدمتوه غلط هتحصل كوارث.

احتضنه تيتو بدون أي مقدمات:

- هتوحشني يا صاحبي.
- حبيبي يا تيتو.

تحدثت سارة:

- Bye Bye hun

تدخلت في الحوار:

- شفت بقى لو كنت اديتك الموبايل في الأول كان زمانك ميت دلوقتي.
- وأنا لو كنت خليت ال Edestus تأكلك ماكانش حصل ده كله .. بس كويس إني سيبتك تعيش.
- البركة في شفاط.
- ازاي يعني؟
- مش مهم بقى.
- صدقوني هحس بوحدة فظيعة بعدما تمشوا.

تحدث شفاط:

- لا مش عتحس بوحدة يا فلامنكو علشان أنا عقعد معاك.

تحدثت ريم:

- تقعد معاه فين؟! دي أرضه مش أرضك.
- مش عايز أرجع تاني زي ما كنت، هنا أحسن لي بكتير من هناك.

حاولنا معارضة شفاط ولكنه أقنعنا فعلا بأنه لا يجب أن يعود؛ فلقد كان إنسانا سيئا في الماضي والآن هو شخص جيد.

ودعنا الفلامديو وشفاط حتى جاءت بنت الفلامديو وتحدثت لنا لأول مرة:

- شكرا ليكم.

نطقت ريم كلمتها الشهيرة:

- يا قمر.

ابتسمت لابنة الفلامديو:

- مش بتكرهينا دلوقتي؟!
- أنا بحبكم.

ابتسمت لها ريم أيضا:

- واحنا كمان بنحبك يا قمر أنتِ.

نظر فلامديو إلى ماندو متعجبا:

- هو أنت بعدما تبيع الآلة دي ايه اللي هيحصل؟ فيه ناس غيركم هتيجي هنا؟!
- ايه؟!
- هيعملوا ايه؟!
- مش عارف يا صاحبي.

تحول وجه ماندو إلى اللون الأصفر، وودعنا الجميع وتشابكت أيدينا ثم ضغط ماندو على الزر بيده الأخرى حيث أنه آخر شخص على الجانب الايسر.

- كمان ثلاثين ثانية هنرجع.

أصوات بعض كائنات الشلامديو تأتي إلى المكان، الأرض تهتز من تحتنا. تحدث وليد:

- خلي بالك من نفسك يا فلامديو وأنت كمان يا شفاط، شكلهم جايين.

احتضن فلامديو ابنته.

ضغط ماندو على الزر ثلاثة مرات فارتعب شاكر:

- بتعمل ايه؟
- كده الزرار مش هيسافر معانا كان مكتوب في الكتالوج لو دوست ٣ مرات وهو شغال هتسيبه في المكان اللي أنت فيه.
- ومش هتعرف تبيع الآلة!
- مش عايز أبيعها يا صاحبي.

ألقى ماندو الزر إلى فلامديو واستكمل كلامه

- لو حسيت بخطر هيخلي حياتك تنتهي دوس على الزرار، غير كده بلاش يا صديقي علشان خطر إننا في العودة ندوس على الزرار مرتين ورا بعض، ممكن تموت، ولو ماموتش وجيت عندنا هيبهدلوك تجارب لغاية ما تنتحر.

انشقت الأرض تحتنا ولم أشعر بشيء حتى وجدت نفسي بالمقبرة التي كنا فيها بجانب باب خلفي دون أن أدري كم من الوقت مر؛ عائدين كما كنا من حيث الجانب المادي، لم نحقق أي شيء خططنا له ولكننا اكتسبنا الكثير من الأشياء التي جعلت منا أشخاصا آخرين وهذا ما يهم، ودعت الجميع، أخذت رقم ريم وشاكر ثم عدت إلى الشارع الذي أعيش فيه، قمامة في كل مكان، زحام، رائحة لا يتحملها بشر، الأكسجين في الهواء يكاد يكون منعدم، نفس عربة الآيس كريم التي رأيتها قبل أن أذهب إلى هذه الرحلة.

- هما بيحوشوا ولا ايه، نايمين ولا مفلسين.

أمسكت يد البائع:

- حاسب العصاية تخبط فيا لافختلك عينيك.

نظر لي بطريقة كادت أن تسقط عينيه من وجهه ثم تركته وذهبت، الآن أحسد شفاط على بقائه هناك، دخلت الشارع الذي أسكن فيه، لم أكن أتذكره في البداية ولكنني تذكرته بسبب أصدقاء سعيد الواقفين أمام بيتي، اقتربت منهم:

- اللي هيقف فيكم قدام البيت ده تاني هرش ماية نار على وشه.

صعدت إلي منزلي، وجدت وزغة على الحائط امسكتها، لعبت معها بعض الوقت ثم تركتها وفتحت الحاسوب لأجد عدد المشاهدات على الأغنية أصبح ٥٠ مشاهدة، أغلقت الحاسوب محبطا وبدأت في كتابة رواية " ٣٠٠ مليون عام قبل الميلاد (الفلامديو)":

"لقد جعلتني الرواية أشتاق للعودة، والآن أوشكت على الانتهاء ولم يتبقى إلا الجزء الأخير، ذهبت إلى منزل تيتو وأعطيته كلمات أغنية جديدة وبعدها ابتعد عني البيت، وأغمضت عيني سارحا فتخيلت بعض بقايا الكلمات المتطايرة التي سأسطر بها نهاية روايتي، أخرجت هاتفي لأكتبها أثناء سيري فقاطعني اتصال من ماندو:

- ألو.

- فينك يا صاحبي؟

- عايز إيه؟

ضحك ماندو:

- عدي عليا ضروري عايزك في موضوع مهم.

- مش فاضي، بكتب في الرواية الجديدة.

- يا عم رواية إيه وهبل إيه بس، عدي عليا عشر دقائق وامشي، الموضوع ضروري، مستنيك.
- معيش فلوس.

ضحك ماندو مرة أخرى:

- يا عم مش عايز منك حاجة ماتقلقش، تعالى اخلص واتصل بالعيال هاتهم علشان معيش رصيد.
- هخلص آخر فقرة في الرواية طيب ونتقابل على القهوة.

ذهب حوار ماندو إلى حتفه بعدما طرده عقلي غاضبا واستعاد وعيه لينهي الفقرة الأخيرة بالرواية متسائلا:

"هل ستحقق النجاح المطلوب أم لا؟ القرار للجمهور الأن".

- النهاية -